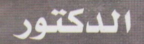
أدب المرأة العربية

الشعر والنثر والحوار



الدكتور

نعيم مجاهد عودة





أدب المرأة العربية

الشعر والنثر والحوار

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2010/11/4121)

810.9
عودة، نعيم مجاهد خضر

أدب المرأة العربية الشعر والنثر والحوار في العصر الجاهلي
وصدر الاسلام/نعيم مجاهد خضر عودة-عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2010

( ) ص

ر.إ. (2010/11/4121).

الواصفات:/ الادب العربي// النثر العربي// الشعر العربي

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-480-82-0



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس : 5353402 6 962+ خلــوي 95667143 7 962+

ص.ب. 520946 عمان 11152 الأردن E-mail: darghidaa@gmail.com

أدب المرأة العربية

الشعر والنثر والحوار

الدكتور

نعـــيم مجاهد عــودة

الطبعة الأولى

2011م – 1432هـ

شكرٌ وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير إلى الذين وقفوا إلى جانبي في تحضير هذا الكتاب (أدب المرأة العربية: الشعر والنثر والحوار).

أخص بالشكر السيد المشرف، والسادة الآخرين الذين لم يألوا جهداً في تقديم العون والنصح والإرشاد، كما أشكر زوجتي على مواقفها الداعمة، بتوفير الوقت والهدوء لي لإتمام بحثي.

أشكر كلّ من ساهم في قيام هذه الجامعة بأسلوبها المتفرد والمميز، والذي يتيح التعلم للجميع، في الأوقات التي تناسب الجميع.

واقبلوا جميعاً تحياتي وتقديري

الفهرس

الفصل الثالث

أدب المرأة العربية

الفصل الرابع

أدب المرأة. الحوار

الفصل الخامس

أدب المرأة العربية: شعرها ونثرها وحوارها

المقـــدمـــة

عنوان الكتاب (أدب المرأة العربية: الشعر والنثر والحوار- ومضات من أدبها في عصور مختلفة).

أولا: لماذا أكتب عن أدب المرأة:

يأتي هذا الكتاب في وقت يكثر فيه الحديث عن دور المرأة في الحياة، وعن الأدب النسائي والأدب الرجالي، فمن الناس من لا يعترف بوجود أدب نسائي البتة، ومنهم من يعترف بذلك على استحياء، ومنهم من يقف إلى جانبها على أنها مخلوق مساوٍ للرجل في كل شيء، فما بالك من الناحية الأدبية، في شعرها ونثرها وحواراتها إضافة إلى دورها في الحياة الإنسانية بشكل عام.

وتكمن أهمية اختيار هذا الموضوع (أدب المرأة العربية: الشعر والنثر والحوار- ومضات من أدبها في عصور مختلفة) إلى جمع ما تفرّق من شعر المرأة العربية، وأخص بذلك الفترة الزمنية القديمة؛ عصر الجاهلية وصدر الإسلام، حيث كانت للمرأة العربية صولات واسعة في قول الشعر والنثر وفي الحوار مع الرجل، ولكنها مدفونة في بطون كتب الأدب القديمة، ولا نكاد نعثر عليها إلا بشق الأنفس والبحث المضني.

ولذلك فقد رغبت في الكتابة في هذا البحث، إحياءً لتلك الومضات المنيرة من أدب المرأة العربية، في تلك الحقبة التي عرفت بالجاهلية بشكل خاص، وتلك

الحقبة التي تلتها وهي عصر صدر الإسلام، وفيها المئات من الشاعرات والأديبات اللواتي أجدن القول وأحسنّ التعبير عن دواخل أنفسهنّ، وهنّ أميّات لا يقرأن ولا يكتبنَ، إلا القليلات منهنّ.

وشعرت بأن هذا أصبح واجباً عليّ، لإظهاره ونشره على الملأ، حتى يستمتع القارئ العربي بتلك النسائم التي هبّت على آبائنا وأجدادنا في الماضي، علّها تعود وتهبّ ثانية على أجيالنا المعاصرة، فتفتح عيوننا وبصائرنا على هذا الكنز العظيم وقد كاد أن يختفي إلى غير رجعة.

وقد وجدت في بعض الأحايين أنّ هناك اختلافاً في من قال هذا الشعر أو ذاك، أو من قال هذا النثر أو ذاك، وهذا شيء طبيعي في ظل هذا الغياب الطويل عن هذا النوع من الأدب، كما وجدت اختلافاً في الأنساب، فمن الأدباء من ينسب هذه المرأة إلى ذاك الأب ومنهم من ينسبها إلى آخر،، وذلك لطول العهد وغياب الكتابة في ذلك الزمان.

ومن الأشياء الجميلة التي وقعت عليها أثناء بحثي هي الحصول على قدر كبير من شعر المرأة العربية ونثرها وحوارها، في كل أغراض الشعر الذي يقوله الرجال، كالحماسة والغزل والفخر والرثاء والحنين إلى الوطن ووصف الطبيعة ووصف الذات، وحتى في الهجاء.

وقد قسمت كتابي إلى خمسة فصول هي:

- الفصل الأول - وصف حياة المرأة العربية في الجاهلية وفي صدر الإسلام.

- الفصل الثاني - أدب المرأة العربية - شعرها.
- الفصل الثالث - أدب المرأة العربية - نثرها
- الفصل الرابع - أدب المرأة العربية - حواراتها.
- الفصل الخامس - أدب المرأة العربية - من قصار القول
- الخاتمة
- المصادر والمراجع.

ثانياً: أقوالٌ في المرأة:

• قال معاوية لصعصعة: أيّ النّساء أحبّ إليك؟ قال: المواتية لك فيما تهوى.[1]

قال: فأيّهن أبغض إليك؟ قال: أبعدهنّ لما ترضى. قال معاوية: هذا النّقد العاجل. فقال صعصعة: بالميزان العادل.

وقال معاوية: ما رأيت نهماً في النّساء إلاّ عرف ذلك في وجهها[2].

• رأي عبد الملك في الجّواري[3]

قال عبد الملك بن مروان: من أراد أن يتّخذ جاريةً للمتعة، فليتّخذها بربريّة ومن أراد للولد فليتّخذها فارسيّةً؛ ومن أرادها للخدمة فليتّخذها روميّةً

---

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الكتب العلمية.

(2) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الكتب العلمية.

(3) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الكتب العلمية.

رأي الحكماء وغيرهم في المرأة[1]

قال بعض الحكماء: لم تنه قط امرأةٌ عن شيءٍ إلاّ فعلته. للغنوي:

إنّ النّساء متى ينهين عن خلق

فإنّه واقعٌ لابدّ مفعول

وقال غيره:[2]

لا تأمن الأنثى حبتك بودها

إنّ النساء ودادهنّ مقسّم

اليوم عندك دلّها وحديثها

وغداً لغيرك كفّها والمعصم

وفي وفائها النادر حكاياتٌ كثيرة، نقتنص بعضاً منها:

- ماتا ودفنا معاً[3]

قال إسحق: خرجت امرأةٌ من قريش من بني زهرة إلى المدينة تقضي حقّاً لبعض القرشيّين.

وكانت ظريفةً جميلةً، فرآها من بني أميّة رجلٌ فأعجبته، وتأمّلها فأخذت بقلبه، وسأل عنها فقيل له: هذه حميدة بنت عمر بن عبد الله بن حمزة. ووصفت

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الكتب العلمية.

(2) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الكتب العلمية.

(3) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد النويري شهاب الدين.

لـه بما زاد فيها كلفه، فخطبها إلى أهلـها فزوّجوه إيّاها على كـرهٍ منهـا، وأهـديت إليه فرأت من كرمه وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به، فلـم تقـم عنـده إلاّ قلـيلاً حتّى أخرج أهل المدينة بني أميّة إلى الشّام، فنزل بها أمرٌ ما ابتليت بمثلــه، فاشـتدّ بكاؤها على زوجها وبكاؤه عليها، وخيّرت بين أن تجمع معه مفارقة الأهل والولد والأقارب والوطن أو تتخلّف عنه مع ما تجد به، فلم تجد أخفّ عندها من الخـروج معه مختارةً لـه على الدّنيا وما فيها. فلمّا صارت بالشّام صارت تبكي ليلـها ونهارها ولا تتهنّأ طعاماً ولا شراباً شوقاً إلى أهلـها ووطنها، فخرجـت يومـاً بدمـشق مـع نسوةٍ تقضي حقّاً لبعض القرشيّين فمرّت بفتـىً جـالسٍ عـلى بـاب منزلــه، وهــو يتمثّل بهذه الأبيات:

ألا ليت شعري، هل تغيّر بعدنا
صحون المصلّى، أم كعهدي القرائن؟
وهل أدور حول البلاط عوامرٌ
من الحيّ، أم هل بالمدينة ساكن؟
إذا لمعت نحو الحجاز سحابةٌ،
دعا الشّوق منّي برقها المتيامن
وما أشخصتنا رغبة عن بلادنا،
ولكنّه ما قدّر اللـه كائن.

فلمّا سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع، تنفّست نفساً صدّع فؤادها فوقعت ميتةً.

فحملت إلى أهلها وجاء زوجها، وقد عرف الخبر، فانكبّ عليها فوقع عنها ميّتاً. فغسّلا جميعاً وكفّنا ودفنا في قبرٍ واحدٍ.

- منازل الأحبّة الخالية تثير الشّوق

روى إبراهيم بن حسن بن يزيد، عن شيخٍ من ساكني العقيق قال: إنّي لواقفٌ بالعقيق، وقد جاء الحاج، إذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة، فنظرنا إليها، فأعجبتنا حالها.

فلمّا كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان، عدلت إلينا، ونحن ننظر. فنزلت قصراً من تلك القصور فأقامت فيه ساعةً ثمّ خرجت، فركبت ومضت، وإنّ عينيها لتنقطان دموعاً. فقلت: لأنظر ما صنعت هذه المرأة؟ فدخلت القصر، فإذا كتاب يواجهني في الجّدار، فقرأته فإذا هو:

ألیس كفى حزناً لذي الشّوق أن يرى،
منازل من يهوى معطلةً قفرا؟
بلى، إنّ ذا الشّوق الموكّل بالهوى،
يزيد اشتياقاً كلّما حاول الصّبرا

وتحته مكتوبٌ: وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز. وكان سفيان بن عاصم زوجها فتوفّي عنها.

ومن حكايات وفائها لزوجها حتى بعد موته، نجد هذا الشاهد:

تعاهدا ألاّ يتزوجا:

حكى الأصمعي، عن رجلٍ من بني ضبّة قال: ضلّت لي إبلٌ فخرجت في طلبها حتّى أتيت بلاد بني سليم، فلمّا كنت في بعض تخومها، إذا جاريةٌ غشى بصري إشراق وجهها، فقالت: ما بغيتك فإنّي أراك مهموماً؟ قلت: إبلٌ ضلّت لي، فأنا في طلبها. قالت: فتحب أن أرشدك إلى من هي عنده؟ قلت: نعم. قالت: الذي أعطاكهنّ هو الذي أخذهنّ فإن شاء ردّهنّ، فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الإختيار. فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها، فقلت لها: هل لك من بعلٍ؟ قالت: كان والله فدعي فأجاب إلى ما منه خلق، ونعم البعل كان. قلت لها: فهل لك في بعلٍ لا تذمّ خلائقه، ولا تخشى بوائقه؟ فأطرقت ساعةً ثمّ رفعت رأسها وعيناها

تذرفان دموعاً فأنشأت تقول:[1]

كنّا كغصنين من بانٍ غذاؤهما

ماء الجداول في روضات جنّات

فاجتثّ صاحبها من جنب صاحبه

دهرٌ يكرّ بفرحاتٍ وترحات

(1) بلاغات النساء، ابن طيفور .

وكان عاهدني إن خانني زمنٌ

يضاجع أنثى بعد موتات   أن لا

وكنت عاهدته أيضاً، فعاجلـه

ريب المنون قريباً مذ سنينات

فاصرف عتابك عمّن ليس يصرفه

عن الوفاء لـه خلب التّحيّات

قال: فانصرفت وتركتها

ثالثا: نساء خالدات منهنّ:[1]

ما كان لأحدٍ من العرب أن يجاذب امرأته فخر تربية أبنائها، وفضل تأديبهم، فكل ذلك منها فيضه، وإليها مرجعه، حتى لقد كانوا يلقبون المرأة إذا انحسرت عن ثلاثة بنين، فنبهَ

ذكرهم، وذاعت مناقبهم، يلقبونها بالمنجبة، وقد تحلى بذلك اللقب كثير من عقائل العرب، نذكر منهنّ:

1. فاطمة بنت الخرشُب - وهي التي أنجبت الكَمَلَة، لزياد العبسي، وقيل لها:

2. أي بنيك أفضل؟ فقالت: الربيع، لا بل قيس، لا بل عمارة، لا بل أنس،

(1) معجم الأمثال والحكم أبو الفضل الميداني.

ثكلتهم إن كنتُ أدري أيهم أفضل! هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها.

3. أم البنين أبنة عامر بن عمرو، زوج مالك بن جعفر، وأبناؤها: مُلاعب الأسنة، وطُفيل الخيل، وربيع المُقترين، ونزال المضيف، ومُعوّذ الحكماء.
4. خبيثة بنت ريّاح الغَنوية التي هتف بها هاتف يقول: أعشرةٌ هدَرَة أم ثلاثة كالعشرة؟ فقال لها زوجها: إن عاد فقولي: ثلاثة كعشرة. فولدت خالداً ومالكاً وربيعة.
5. عاتكة بنت هلال السُلمية - أنجبت لعبد مناف بن قصيّ، هاشماً، وعبد شمس والمطلب.
6. ريحانة بنت معدي كرب - ولدت للصمة بن عبد الله، دريداً وإخوته.

تمهيد

يتقدم هذا الكتاب، وتحت عنوانه، بتوفير معلومات كانت متفرقة هنا وهناك في بطون الكتب، وذلك من أجل إلقاء الضوء مباشرة على أدب المرأة العربية من شعر ونثر وحوار، لإعطائها حقها وإنزالها منزلتها الأدبية حيث يجب أن تكون.

" تلك هي المرأة العربية التي يحدثنا عنها المؤرخ الباحث (كلاي Clay) مما استشفه من أطلال بابل، إنها كانت منذ أربعة وأربعين قرناً، تجاذب الرجل سياسة الأمة وولاية الأمر وشؤون الحياة. تلك هي المرأة التي وثب بها الإسلام، فكان لها أثرها في تكوين رجاله وتصريف حوادثه." [1]

يتحدث الكتاب عن المرأة العربية في جاهليتها، حيث أنها عاشت بين أقوامْ غلبت عليهم سورة النفس وخوض الحروب، وأهمية الحفاظ على شرف المرأة.

يقول الشاعر اسحق بن خلف: [2]

لولا أميمة لم أجزع من العدمِ	ولم أجب في الليالي حندس الظُلَم
أحاذر الفقر يوماً أن يلمّ بها	فيكشف السِتر عن لحم وعن وضم

(1) المرأة العربية، عبدالله عفيفي، دار مصر للطباعة.

(2) الحماسة البصرية، صدر الدين البصري، مكتبة الخانجي - القاهرة.

وتقول كَرمة بنت ضِلع في تشجيع قومها على الحرب:[1]

نحـــن بنـــات طـــارق   نمـــشي عـــلى الـــنمارقْ

إن تُقبلـــوا نعـــانق   أو تُـــدبروا نفـــارقْ

فراق غير وامـــق

ويُظهر البحث أهمية الكلمة، تطلقها المرأة فتصيب مواطن النخوة عند الرجل، فتهيج لها الحرب، وقد تمتدّ أربعين عاماً كما في حادثة حرب البسوس، وهي القائلة:[2]

لعمـرك لـو أصـبحتُ في دار   لما ضيم سعدٌ وهو جار لأبياتـي

ولكنني أصبحتُ في دار غُربـة   متى يعدُ فيها الذئبُ يعدُ على

وكانت تلك المرأة العربية شقيقةً للرجل وصنواً له، ومن ذلك قولهم:

إنّ النساء شقائق الأقـوام.

فكان منهنّ الملكات، فتلك بلقيس ملكة اليمن، وتلك الزباء (زينب) ملكة تدمر.

وقد كان للمرأة العربية كلمتها ومكانتها، فقد كان لها حق اختيار الزوج، وهناك الكثير من القصص التي تدل على حسن اختيارها لزوجها، وحقها في

(1) الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار الكتب العلمية.

(2) الكامل في اللغة، المبرد، دار إحياء التراث العربي.

خلعه متى ما رأت ذلك، كما أن هناك من القصص ما يدل على ذكائها وسعة حيلتها.

كانت المرأة العربية وفيّةً ومحبةً لزوجها، انظر ماذا قالت صفية الباهلية في رثاء زوجها: [1]

عشنا جميعاً كغصنيّ بانةٍ	حيناً على خير ما تنمى له الشجرُ
حتى إذا قيلَ قد طابت	وطال قنواهما، واستنضر الثمرُ
أخنى على واحدي ريبُ الزمان	يبقي الزمان على شيءٍ ولا

أما تربيتها لأطفالها، فقد جاءت شيئاً معجباً، هذه أميمة أم تأبط شراً، انظر قولها في تربية ولدها: (والله ما حملته تُضَعاً، ولا وُضَعاً، ولا ولدته يَتْناً، ولا أرضعته غيْلاً، ولا أبَتُّه مثقاً ولا أنمتهُ تئداً..) [2]

أما في فصاحة المرأة وحكمتها، فنحن نجدها تنطق بقول الحكيم والناقد العليم، انظر إلى حكم أم جندب بين زوجها امرئ القيس وعلقمة الفحل حين تنازعا الشعر.. حيث حكمت لعلقمة الفحل، وحين سألها امرؤ القيس: بأي شيء غلّبته ؟ قالت: لأنك قلتَ:

(1) الحماسة البصرية، صدر الدين البصري، مكتبة الخانجي – القاهرة.

(2) الكامل في اللغة، المبرد، دار إحياء التراث العربي.

فللسوط ألهوبٌ وللساق درةٌ   وللزجر منه دفعُ أخرجَ مُهذِبِ

فجهدتَ فرسك بسوطك وأتعبته بجَهدك، أما علقمة فلم يضرب فرسه بسوطه ولم يتعبه بزجره، فما كان منه إلا أن طلّقها، وخلفتهُ على صاحبه.

شيءٌ من نثرها:

حضرتْ جمعة وهند ابنتا الخسّ سوق عكاظ، والتقتا عند القَلَمَّس الكناني. فسأل القلمسُ جمعة: أي ذكور الخيل أحب إليك يا جمعة؟ فقالت: أُحبُ المنسوب جدُه، الأسيل خدهُ، السريع شدهُ، الطويل مدهُ، الشديد هدّهُ، الجميل قدّهُ.

قال القلمسُ: فماذا تقولين يا هند؟ قالت: هذا فرسٌ خليق إن طُلبَ لم يُلحق، وإن جوري لم يُسبق، وإن بوهي لم يُفق، وغيره أحبّ إليّ منه..

وتطول هذه المحاورة بين القلمس والأختين، حتى تشمل الرجال والنساء..

ووصف أم معبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما مرّ بخيمتها مهاجراً من مكة إلى المدينة، دليل على سلامة سجيتها وحسن لغتها ودقة وصفها، حتى قال زوجها: هو والله صاحب قريش.(2)

(1) تاج العروس، الزبيدي، دار إحياء التراث العربي، وفي البيان والتبيين للجاحظ.

(2) المرأة العربية، عبدالله عفيفي، دار مصر للطباعة، القاهرة.

شيءٌ من شعرها:

لما رحلت جليلة، بعد حرب البسوس، قالت أخت كُليب: رحلة المعتدي وفراق الشامت. وبلغ ذلك جليلة، فأنشأت تقول:

يا ابنة الأقوام إن لُمتِ فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي

إنْ تكن أخت امرئٍ ليمَت ... شفقٍ منها عليه، فافعلي

جلّ عندي فعلُ جساس فيا ... حسرتي عما انجلى أو ينجلي

فأنا قاتلةٌ مقتولةٌ ... فلعلّ الله أن يرتاح لي[1]

أقدم نبذة قصيرة حول انتشار الإسلام، والرسالة المحمدية، وما تبع ذلك من تغير في مفاهيم وسلوكيات العرب بينهم وبين أنفسهم، وبينهم وبين اصحاب الديانات الأخرى في الجزيرة العربية بشكل خاص.

انتشار الإسلام

من واحات مكّة والمدينة في الصحراء العربيّة، انتشرت رسالة الإسلام بسرعة هائلة. وخلال نصف قرن بعد وفاة النبيّ(ﷺ)، وصل الإسلام إلى ثلاث قارات. وخلافاً لما يتصوره البعض في الغرب. ليس الإسلام دين سيف، ولم تكن الحرب الوسيلة الرئيسية لنشره. والمكان الوحيد الذي نشر فيه الإسلام عن طريق

---

(1) كنز العمال، التقي الهندي، المجلد 16.

الحرب كان الجزيرة العربية، حيث قاتل المسلمون ضد القبائل المعاندة التي لم تقبل رسالة الله، في حين لم يجبر المسيحيون واليهود على اعتناق هذا الدين. وخارج الجزيرة العربية، يشهد التاريخ بأن المساحات الشاسعة من الأراضي التي فتحتها الجيوش العربيّة، خلال فترةٍ زمنيةٍ قصيرةٍ نسبياً، لم تُفتح بقوّة السيف، بل بفضل جاذبيّة الدين الجديد. إذ أن الاعتقاد بوحدانية الله وبرحمته هو الذي حمل الأعداد الهائلة من الناس على الدخول في الإسلام. فالدين الجديد لم يرغم أحداً على اعتناقه. وقد بقي الكثيرون يهوداً ومسيحيين؛ وحتى يومنا هذا، نجد مجتمعاتٍ لأتباع هاتين الديانتين على أراضي المسلمين.

ثم أكمل حديثي عن المرأة العربية في ظل الإسلام، فأقول:

أما وقد جاء الإسلام، فقد أصبحت المرأة قسيمة الرجل، لها ما له وعليها ما عليه، وأصبح فضل الرجل عليها أن يقوم على رعايتها بما له من قوة الجلَد وبسطة اليد.

وحكاية أسماء بنت يزيد الأنصارية، وقد دخلت على الرسول الكريم وافدةً من قبل جمع من النساء، تقول: إنّ معشر الرجل فضلوا علينا بالجُمع والجماعات والجهاد، فقال لها عليه السلام: اِفهمي أيتها المرأة وأعلِمي من خلفكِ من النساء، أنّ حُسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتّباعها موافقته، يعدل ذلك كله.

وقد كان للنساء شأن في جوامع الكلم، لا تنكره عين ولا يمجه ذوق، ولها من الأقوال الحكيمة الكثير الكثير، أليست هي التي قالت: كل فتاة بأبيها معجبة؟ أليست هي التي قالت

ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل؟ ورمتني بدائها وانسلت.. وغير ذلك كثير؟

وسوف نورد فصلا كاملاً عن جوامع الكلم التي وردت على ألسنة بعض النساء في الفصل الخامس.

وأستشهد برأي الكاتب جوستاف لوبون في موضوع تعدد الزوجات، بما كتبه في كتابه (حضارة العرب) La civilisation des Arabes " ليس بالهيّن أن تدرك اسلوبا من الحياة لأمة من الأمم حتى تفترض كونك في هذه الأمة، فأما أن تحكم وأنت متأثر بطبائع قومك وعاداتهم، على نظام قوم، لا يشاكلونك في شيء، فذلك ليس من الرأي في شيء."[1]

ومن النساء ذوات الصيت العالي في الإسلام: نسيبة بنت كعب المازنية، وخولة بنت الأزور، وصفية بنت عبدالمطلب، وليلى بنت طريف الشاعرة، وغزالة الحرورية / إقرأ رثاء ليلى بنت طريف في أخيها الوليد بن طريف: [2]

(1) حضارة العرب، جوستاف لوبون.

(2) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد النويري شهاب الدين.

ألا قاتـــل الله الحـــشى كيـــف فتىً كان للمعـروف غـير عيـوف

فتىً لا يلوم الـسيف حـين يهـزه على ما اختلى من معصم وصـليف

فيا شجر الخابور مـا لـكَ مورقـاً كأنك لم تجـزع على ابـن طـــريف

عليك سلام الله وقـفاً فإننـــــي أرى الموت وقـاعاً بكل شـــريف

وللمرأة العربية في الحوار الشعري باع طويل وطـريف، نورده في حـــينـه.

الفصل الأول
أدب المرأة العربية – شعرها ونثرها وحوارها

الفصل الأول
أدب المرأة العربية – شعرها ونثرها وحوارها

أتكلم أولاً وفي بداية هذا الفصل عن الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، وعن خصائص الشعر الجاهلي، وهو الأشهر في ذلك الزمان، ثم أعرّج على أغراضه، بعد ذلك أنتقل إلى الحياة السياسية والاجتماعية والدينية..

الحياة الأدبية في العصر الجاهلي:

الأدب العربي قديم النشأة، والشعر الذي وصل إلينا من الجاهلية يمثل دوراً راقياً لا يمكن أن يكون الشعر قد بلغ إليه في أقل من ألف سنة على الأقل، وقد استدل علماء اللغة والأدب على أن الشعر العربي وجد قبل الشعر الجاهلي الذي يعد أول ما وصلنا من نتاج العرب الشعري بأدلة كثيرة وهو قول امرؤ القيس مثلاً:

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحيلِ لَعَلَّنَا
نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابنُ حِذَامِ

ووجه الدليل عندهم أن بكاء الديار والأطلال في زمن امرؤ القيس ليس بجديد فقد بكاها شعراء من قبله منهم ابن حذام الذي حذا امرؤ القيس حذوه في ذلك، وابن حذام الذي يذكر بعض المؤرخين أنه من قبيلة طيء لم يصل إلينا من نتاجه الشعري شيء.

ومن الشعراء السابقين في العصر الجاهلي المهلهل بن ربيعة، وقيل هو أول من هلهل الشعر أي (أرقه)، وأول من قصَّد (أطال) القصائد، وقال المهلهل الشعر الكثير في رثاء أخيه كليب وائل.

واختار أبو تمام في ديوان الحماسة من رثاء المهلهل لأخيه كليب:

أهاج قذاء عيني الادكار	هدوءاً فالدموع لها انحدار
وصار الليل مشتملاً علينا	كأن الليل ليس له نهار
دعوتك يا كليب فلم تجبني	وكيف يجيبني البلد القفار
أجبني يا كليب خلاك ذم	لقد فُجعت بفارسها نزار
كأني إذ نعى الناعي كليب	تطاير بين جنبي الشرار

والمعلقات هي أول شعر مكتمل وصلنا من العصر الجاهلي.وسميت المعلقات بهذا الاسم لأسباب أختلف المؤرخون حولها، فقيل لأنهم عدّوها علقاً أي شيئاً نفيساً،فهي تشبه عقود الدر التي تعلّق في نحور الحسان. وقيل كتبوها بماء الذهب وعلقوها على جدران الكعبة، وقيل علقوها بالذهن أي حفظوها عن ظهر غيب.

واستبعد بعض النقاد أمر كتابة المعلقات وتعليقها لانتشار الأمية في العصر الجاهلي، وإذا كانت الأمية قد شاعت بين العرب فان هذا لا يعني انعدام القراءة

والكتابة لديهم فلقد انتشرت القراءة والكتابة بينهم بالقدر الذي يسمح لهم بتدوين معاملاتهم وآدابهم. وإذا كانت الذاكرة العربية التي تميزت بالقوة قد حفظت قدرا كبيرا من الأشعار فان التدوين أيضا كان مساندا للرواية الشفوية.

خصائص الشعر الجاهلي:

الخصائص هي الأحوال التي ترافق الفنون الأدبية وتجعل كل أديب يختلف من سائر الأدباء في إنتاجه الأدبي. كما يجعل كل نص أدبي يختلف من كل نص آخر. مثل براعة الألفاظ أو غرابتها، ومتانة التركيب أو ركاكته، ثم اختراع المعاني والمحسنات المعنوية واللفظية، كقولنا عن امرئ القيس بأنه أول من قيد الأوابد، وأول من شبه النساء بالغزلان والخيل بالعقبان.

الألفاظ:

تمتاز ألفاظ الشعر الجاهلي بالقوة والجزالة في المدح والفخر والهجاء ووصف المعارك كما تمتاز هذه الألفاظ بالرقة في الغزل والرثاء ووصف الطبيعة، وتمتاز العبارات بقوة البناء وإحكام النسج والبعد عن الغموض والتعقيد،و غرابة الألفاظ وجزالتها، مع ملاحظة أن هذه الكلمات كانت يوم ذاك فصيحة مألوفة

متانة التركيب وبلاغة الأداء: والتركيب في الشعر الجاهلي صحيح، يجري على قواعد اللغة العربية، وكذلك كانت تراكيبه بليغة أي تؤدي المعاني المقصود منها في الأحوال المناسبة إما حقيقة وإما مجازاً.

الخيال:

أعتمد شعراء هذا العصر على الخيال الجزئي من التشبيه والاستعارة والكناية ، وقلة الصور الكلية في شعرهم ، وكان الخيال منتزعاً من البيئة فهو يصور البيئة الجاهلية خير تصوير، و جرى الشاعر الجاهلي على طبعة وسجيته فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به، ولا تكلف الإحاطة والشمول، ولا التعقيد والتعليل فيما شعربه.

النزعة الوجدانية:

الشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الأولى يصف نفس قائله وشعوره، يعبّر فيه الشاعر عن حقيقة ما يختلج في نفسه.

الإطالة:

كان يحمد في الشاعر الجاهلي أن يكون طويل النفس ،أي أن يطيل القصائد،وأن تتعدد الموضوعات داخل القصيدة الواحدة.

أغراض الشعر الجاهلي:

الأغراض هي الموضوعات التي يتناولها الشاعر عرضاً في قصيدته وهي عادة أمور ممهدة للفن الذي يرمي إليه الشاعر.

لقد نظم الشاعر الجاهلي الشعر في شتى موضوعات الحياة ومن أهم أغراض الشعر الجاهلي:

- الفخر والحماسة: الحماسة لغة تعني: القوة والشدة والشجاعة، ويأتي هذا الفن في مقدمة أغراض الشعر الجاهلي،حيث يعتبر من أصدق الأشعار عاطفة. وتظهر الحماسة في الدعوة للقتال، وأحاديث البطولة والفخر بالنصر.
- الغزل: وهو الشعر الذي يتصل بالمرأة المحبوبة المعشوقة.والشعر هنا صادق العاطفة،وبعضه نمط تقليدي يقلد فيه اللاحق السابق. حيث بدأت به مطالع القصائد.
- الرثاء: وهو الشعر الذي يتصل بالميت. وقد برعت النساء في شعر الرثاء.وعلى رأسهن الخنساء،والتي أشتهرت بمراثيها لأخيها صخر.
- الوصف: لقد تأثر الشعراء الجاهليون بكل ما حولهم،فوصفوا الطبيعة ممثلة في حيوانها، ونباتها. ولم تكن له قصائد مستقلة إلا أنه لا يخلو منه نص في الشعر الجاهلي.
- الهجاء: هو نقيض المديح يُكتب عندما يريد الشاعر أن يعبر عن سخطه واشمئزازه من شخص آخر وهو عكس المديح فالمديح يقوم على عاطفة الإعجاب والتقدير و ذكر المناقب أما الهجاء يقوم على ذكر السُخط والإشمئزاز و ذكر المثالب.

كان الهجاء في العصر الجاهلي فردياً وقبلياً

- الحكمة: جاءت في ثنايا القصيدة وهي صدى لفطرة الشعراء الصافية، وتجاربهم الكثيرة، وقدرتهم على استخلاص العبرة من الأحداث التي تمر بهم.

والناظر في المصادر العربية تهوله تلك الكثرة من الأشعار والشعراء خاصة إذا ضم إليها ماجاء في كتب التاريخ والسير والمغازي والبلدان واللغة والنحو والتفسير إذ تزخر كلها بكثير من أشعار الجاهليين بما يوحي أن الشعر كان غذاء حياتها، وان هذه الأمة قد وهبت من الشاعرية الفذة ما يجعل المرء يتوهم أن كل فرد من رجالها ونسائها وعلمائها كان يقول الشعر وتدل هذه الكثرة من الشعر والشعراء على أن الشاعرية كانت فطرة فيهم ثم ساندت هذه الفطرة الشاعرة عوامل أخرى منها تلك الطبيعة التي عاش العربي الأول كل دقائقها من جبال ومهاد ووديان وسماء ونجوم وأمطار وسيول وكائنات.

وقد علل النقاد عوامل ازدهار الشعر العربي في المئتي عام قبل الإسلام بما يلي:

1. الحروب التي دارت بين عرب الشمال وعرب الجنوب:(حرب البسوس- حرب داحس والغبراء - وقائع تغلب والمناذرة - ذي قار - حروب الأوس والخزرج).
2. هجرة عرب الجنوب واختلاطهم بعرب الشمال.
3. وجود الأسواق التجارية والأدبية، مثل:(عكاظ- ذي المجاز- ذي المجنّة) حيث كان الشعراء يتفاخرون بقبائلهم في تلك الأسواق.

4. تنافس القبائل في تقريب الشـــعراء والإغداق عليهم بالعطايا كما صنع الغساسنة مع حسان بن ثابت، والمناذرة مع النابغة الذبياني.
5. سوء توزيع الثروةالاقتصادية واحتكارسادة القبائـل لهـــا، مما جعــل بعض الشـــعراء يتكسبون بمدح هؤلاء الزعماء.

الحياة السياسية والاجتماعية:

عاش معظم سكان الجزيرة العربية في شكل قبائل بدوية تعيش على الغـزو، وتربية الماشية، ولا تعرف لها سلطة مركزية تنضوي تحت لوائها، وكانـت القبيلـة بتشكيلاتها وقيمها هي الأساس الذي تقوم عليه الحياة السياسية وحتى الاجتماعية فيها أيضاً، وسادت هذه القيم معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية.

و نـشـأ عـن طبـيعة الجزيرة العربية وحتميـة انتقـال العـرب وراء المـاء وطلبـاً للكلأ، نشأ النظام القبلي كـضرورة اجتماعيـة، وحيويـة حتـى يتنقلـوا في جماعـات وعشائر توفر لأفرادها الحماية والأمن.. ولم يقـتـصر وجـودهـا عـلـى الـبـادية بل تعداها إلى الحواضر على قلتها وتناثرها في الصحراء المترامية.

وكانت القبيلة هي الوحدة السياسية في العصر الجاهلي، تقوم مقام الدولة في العصر الحديث. وأهم رابط في النظام القبلي الجاهلي،هو العـصبية،وتعني النـصرة لذوي القربى والأرحام ان نالهم ضيم أو اصابتهم هلكة. والعـصبية القبليـة لـيس فيها شعور واضح بالجنس العربي العام، حتـى الإمـارات التـي تكونـت في شـمال

الجزيرة ظلت تقوم على أساس العصبية القبلية.. ولم ينفذ هؤلاء جميعاً إلى فكرة الأمة العربية أو الجنس العربي بحيث يجمعون العرب تحت لواء واحد، إنما كل ما هنالك اتحاد قبلي له رئيس.

ووحدة القبيلة كانت أمراً مقدساً ترتب عليه طائفة من التقاليد يحدد علاقة الأفراد مع بعضهم.. وعلاقة الأفراد بقبائلهم لأن القبيلة هي الوحدة الاجتماعية التي عرفها المجتمع الجاهلي في البادية والمدن.. وكان أفراد القبيلة يؤلفون أسرة واحدة قائمة بذاتها لا اختلاط فيها، متجانسة لا تباين بين أفرادها.. يعمل الجميع في سبيل هدف واحد وهو المحافظة عليها وعلى الفرد أن يحترم رأي قبيلته فلا يخرج عليه ولا يكون سبباً في تمزيق وحدتها أو الإساءة إلى سمعتها بين القبائل أو تحميلها ما لا تطيق، ولذلك اتخذت القبيلة حق الخلع أي الطرد لبعض أفرادها إذا تمردوا على تقاليدها من قتل بعض أفرادها أو تعدد جرائره عليها أو سوء سلوكه من الناحية الخلقية حسب مفاهيمهم للأخلاق آنذاك، ويعتبر الخلع أشد عقوبة توجه للفرد في المجتمع البدوي.

وللقبيلة رئيس يتزعمها في السلم والحرب.وينبغي أن يتصف بصفات أهمها: الخبرة، سداد الرأي، بعد النظر، والشجاعة، الكرم، والثروة. و كان أمر السلطة قد اختلف من مكان إلى آخر، وكانت مكة تمثل نمطاً من أنماط مجتمعات المدينة، فهي مقر لقبائل متجاورة في مساكنها، اتفقت فيما بينها على التعاون والاتحاد وتوزيع العمل، وأن لم تصل هذه الأمور إلى حدود السلطة التي تتولى

إدارة مؤسسات المدينة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وعرفت الجماعة البشرية التي عاشت في مكة مجموعة من النظم قبل الإسلام من أهمها الاحلاف ومجالس الشورى، ومجموعة من المناصب ارتبطت كلها بالكعبة والعناية بها مثل السقاية والسدانة والحجامة والرفادة، وكانت مناصب مهمة تتنافس عليها بطون قريش.

ومما يجدر الإشارة إليه هو أن كل رئيس قبيلة كان يرى في نفسه سلطة مستقلة عن القبائل الأخرى حتى داخل المدينة الواحدة، كما في مكة.

وعرف نظام القبلي فئات في القبيلة هي: أبنائها الخلص، الذين ينتمون إليها بالدم، والموالي وهم أدنى منزلة من أبنائها، و العبيد من أسرى الحروب، أو من يجلبون من الأمم الأخرى.

وكانت للعرب صفات ايجابية وأخرى سلبية.

الصفات الإيجابية كثيرة فالعرب كانوا يركّزون على صفات كثيرة وقِيم كثيرة، منها :

قيمة الكَرم، وقيمة الوَفاء، وإغاثة المَلهوف، وحماية الضعِيف، والعفو عند المَقْدرة، ورفض الهَوان والضَّيم، ولهم في الكرم والوفاء قِصص كثيرة،، حتى كانوا من لا يفي بوعده، القَبيلة تَنْبُذه وتنْفُر منه وتطرده. ولذا كانوا ينادون بالوفاء بالوعود، والوفاء بالمواثيق والعهود، وإغاثة المَلهوف، وحماية الضَّعيف. والكرم نشأ عندهم لأن الحياة فيها قسوة والظروف صعبة، فكانوا يوقدون النار ليلاً على قِمم الجبال، حتى يأتي إليهم تائِهون في الصحراء ليلاً.

هناك صفات سلبية أيضاً تَسِمُ الحياة الاجتماعية عند العرب. ومن هذه الصفات السلبية:

شيوع الخَمر بينهم، وشيوع القِمار والمَيسر، والأخذ بالثأر وهذا كان عادة عربية قديمة متأصّلة في نفوسهم.

وقد انتشرت في الجاهلية عادة وأد البنات أي: دفنهن أحياء، ويبرر بعضهم هذا الفعل بالخوف عليهن من الذل والخوف على نفسه من العار. يقول اسحاق بن خلف:

لولا أميمة لم أجزع من العدم ... ولم أجُب في الليالي حندس الظُّلم

وزادني رغبة في العيش معرفتي ... ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرّحم

تهوى بقائي وأهوى موتها ... والموت أكرم نَزَّال على الحُرم

ومع كل ذلك الجرم في حق المرأة إلا أنها كانت موضوع الحب والشوق والوجد إلى الحد الذي يستهوي العربي في أن يفنى فيها، فقد قيل لأعرابي: (ممن أنت) فأجاب: (أنا من قوم إذا أحبوا ماتوا) فقالت جارية سمعته: (عذري ورب الكعبة) أي من قبيلة بني عذرة الذين عرف عنهم هيامهم بحب النساء.

تلك حالة كانت شائعة بين العرب في العصر الجاهلي، ونجد في قصائد عديدة ما نجده في أبيات عروة بن حزام من تعبير عن مشاعر الرجل اتجاه المرأة الحبيبة.

وإني لتعـروني لـذكراك هـزة ... لها بين جلـدي والعظـام دبيـب

وما عجبي موت المحبين في الهوى ... ولكـن بقـاء العاشـقين عجيـب

والمرأة في العصر الجاهلي كانت إما حرة أو أمة أو جارية. المرأة الحُرة كانت لها مكانة عظيمة عند العرب حتى قبل الإسلام، المرأة في ذلك العصر كانت قوية الشخصية، متمسكة بالأخلاق الكريمة مترفعة عما يشينها أو يحط من قدرها عند أهلها وقومها وكانت من النساء من تختار زوجها حتى قبل الإسلام. ومنهن من كانت تتدخل في أن تُجِير إنساناً مطْروداً أو مظلوماً ... وإلى جِوار ذلك هناك مجتمع الجَواري أو مجتمع الإماء، ومنهن من كانت لها سلوك سَيِّئ، وكان ذلك معْروفاً.

ونجد الشِّعْر الجاهلي صوَّر المرأة بصوَر مخْتلفة، وهذه الصوَر منها صوَر مقْبولة، ومنها صوَر مَرفوضة. الصور المقْبولة في العَصْر الجاهلي: عندما كانوا يُشيدون بها، وبأخلاقها، أو بجمالها، إشادة معْنَوية أحياناً، ودلَّ على ذلك قول الشنفرى في زوجته:

لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها ... إذا ما مشت ولا بذات تلفت

تبيت بُعَيد النوم تُهْدي غَبوقَها ... لجاراتها إذ ما الهَدية قَلَّتِ

وكان للمرأة الحق في أن تطلب العصمة وقت الزواج. ولم تكن النساء بحاجة إلى المصارحة بالطلاق، بل كان حسبهن أن يحولن أبواب اخبيتهن... أن كانت إلى الشرق فإلى الغرب.

ونرى أن المرأة لم تكن مهْمَلة بل كان لها قدْرها عندهم، كما كان لها كثير من الحُرية. فكانت تمتلك المَال وتتصرف فيه كما تشاء، وتجاوزت المرأة موطن الرعاية إلى ما هو أسمى وأجل. فقد كان حَسب الهارب المطلوب أن يعقد رداءه بطُنُب(*) خبائها فيعود آمناً ليس عليه سبيل. وكذلك كانت ساحتها حرماً آمناً يفزع إليه الخائفون، وببابه يتدافع العافون، ويهتدي السارون (*)

ومن أبدع مظاهر ذلك ما حدثوا أن سُبيعة ابنة شمس بن عبد مناف كانت زوجاً لمسعود بن مالك الثقفي، فلما عصفت حرب الفجار (*) الأكبر - بين كنانة وقيس- كانت سيادة الأولين لحرب بن أمية ابن أخيها، وقيادة الآخرين لمسعود زوجها. وكان مسعود قد ضرب لها خباء وراء جندة، فدخل عليها فأبصر

* الطنب حبل الخباء .

* العافون جمع عاف القاصد، والسارون جمع سار وهو المسافر ليلاً.

* الفجار حروب الفجار حروب نشبت بين العرب في سوق عكاظ. وإنما دعيت بهذا الاسم لأن العرب أباحوا فيها حرمة الأشهر الحرم فقاتلوا فكان ذلك منهم فجاراً أي تفاجراً.

بالدموع تجول بين خديها فقال: مايبكيك؟ قالت: أبكي لما عسى أن يصيب قومي. فقال لها: من دخل خباءك من قريش فهو آمن. فأخذت تصل به قطعاً حتى يسع الجمع العديد من قومها فلما إنكشفت قيس وغلب على أمره مسعود، قال لها ابن أخيها: من تمسك بأطناب خبائك فهو آمن، فلم يبق قيسي إلا اعتصم بها ودار حول خبائها.

و عرف التاريخ الشعر العربي في العصر الجاهلي نساء شواعر منهن على سبيل المثال:

الخنساء وخرُنَق وكبشة أخت عمرو بن معدي كرب وجليلة امرأة كليب الفارس المشهور ولها في كليب مراث من عيون الشعر العربي وقيسة بنت جابر امرأة حارثة بن بدر ولها أيضاً مراث في زوجها وأميمة امرأة بن الدمينة وقد كان أبو نواس الشاعر العباسي يروي لستين شاعرة من العرب.

الحياة الدينية:

كان العرب في الجاهلية يعبدون الأصنام والأوثان، وهؤلاء هم المشركون أي: كان منهم فريق يعرف الله ولكن كان يشرك مع الله آلهة أخرى، ولذلك قال الحق -سبحانه وتعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ .

وفَرْقٌ بين الصَّنَم والوَثَن: "الصَّنَم": هو التمثال الذي يصنع على هيئة بَشَر أو نَبَات أو حَيوان أو ما إلى ذلك، هذا هو الصَّنَم. ومن أشهرها (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا، واللات والعزى، ومناة، وهبل.

أمّا "الوَثَن": فهو حَجَر يأخذه العَربيّ أو البَدوي طبعاً في العَصْر الجاهلي ويتخذ منه رَمْزاً للعِبادة. وكانت عِبادة الأصنام منتشرة بين العرب انتشاراً واسعاً، قد صوّروها أو نَحتوها رَمزاً لآلهتِهم. وقد يَرون في بعض الأحجار والأشجار والآبار ما يَرمز إليهم. فالعُزَّى كانت لغَطفان، وهي شجرة وقد قَطعها خالد بن الوليد، لم تقتصر الحياة الدينية في شبه الجزيرة العربية على عبادة الأصنام والأوثان، بل وجدت بعض الفئات الأخرى التي انصرفت إلى عبادة الكواكب والنجوم بأشكالها المتعددة، كما وجد إلى جانب الديانات السالفة الذكر أديان أخرى كالمسيحية واليهودية، حيث كانت الجزيرة العربية منذ أقدم الأزمنة معبراً للقوافل وعلى اتصال وثيق بجيرانها، فانتقلت إليها الأديان، الأمر الذي كان له أثر كبير في التنوعات الاعتقادية في شبه الجزيرة، وقد تجلى هذا التأثير في اعتناق بعض أبناء الجزيرة للمسيحية واليهودية إلى جانب الحنيفية.

وقد وجد إلى جانب هؤلاء عبدة النار "المجوسية"، وكانت قد عرفت هذه الديانة عن طريق الفرس في الحيرة واليمن، كما انتشرت الزندقة بين صفوف سكان شبه الجزيرة في الحيرة.

والزنادقة قوم أنكروا الخالق والبعث، ومنهم من أنكر الرسالة وأنكر بعث الأنبياء، ومن هذه الأديان والمعتقدات التي كانت سائدة قبيل الإسلام نعلم أن العرب في هذا العهد كانوا في اضطراب روحي، يريدون الوصول إلى حقيقة دينية يطمئنون إليها فكان الإسلام نفسه هذه الحقيقة.

لقد عاش العرب في بيئة مختلفة عن البيئات الأخرى، حتى تلك المجاورة لها، كبلاد الشام أو بلاد ما بين النهرين. وكانوا قبائل شتى، ترتحل من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلأ، وأحياناً طلباً للثأر أو هربا من ثأر، فكانوا لا يستقرون على حال. وندرت القراءة والكتابة بين أفراد القبائل، ولكنّ الشعر حظي بالكثير من الاهتمام، فهو ديوانهم وسجلّ حياتهم وأيامهم، يأتي بعد ذلك الخطابة، وأقوال الحكماء من الرجال والنساء.

ولما كانوا يعيشون عصر الجاهلية، كان ذلك عصر الذكورة بوجه عام، ولكنْ كان للمرأة شأن عظيم في وجودها، وفي تربيتها لأبنائها، وفي الحفاظ على القيم والعادات والتقاليد، كما كان لها دورٌ كبير في الشعر وفي نثار القول. ولكنّ الزمن أغفل تلك المزية النسوية، وأُهمل شعر المرأة وضاع منه الكثير، أهمله الرواة، وأهمله المؤرخون فيما بعد، فهناك شاعرات ضاع شعرهن بالكامل ولا تكاد تقرأ بيتاً هنا أو مقطوعة هناك في بطون كتب الأدب القديمة.

وكان هناك الكثير من النساء الشاعرات وذوات القول الحكيم وجوامع الكلم، ولكنهنّ لم ينسبن ولم يذكرن في نادٍ ولا كتاب، وبقيت بعض أعارهنّ أو أقوالهنّ دون نسب.

وهنا امرأة شاعرة ولكنها لم تنسب ولم تُعرف، انظر شعرها وحكايتها:

أخبرنا ابن دريد، قال: حدثني عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي، عن عمه، عن يونس قال: انصرفت من الحج فمررت بماويه وكان لي فيها صديق من عامر بن صعصعة، قصدت إليه مسلماً، فأنزلني. فبينا أنا وهو قاعدين بفنائه، فإذا نساء مستبشرات وهن يقلن:

تكلم. فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فتى منا كان يعشق بنت عم له، فزوجت وحلمت إلى الناحية بالحجاز فأنه لعلى فراشه منذ حول، ما تكلم ولا أكل إلا أن يؤتى بها يأكله ويشربه فقلت: أحب أن أراه، فقام وقمت معه، فمشينا غير بعيد، فإذا بفى مضطجع بفناء بيت من تلك البيوت، لم يبق منه إلا خياله. فأكب الشيخ عليه يسأله وأمه واقفه، فقالت: يا مالك هذا عمك أبو فلان يعودك. ففتح عينيه ثم أنشأ يقول:

ليبكني اليومَ أهل الود والشفقِ[1]

لم يبق من مهجتي إلا شفا رمقي

اليوم آخر عهدي بالحياة فقد

---

(1) أشعار النساء، لأبي عبيد الله المرزباني، عالم الكتب.

أطلقت من ربقة الأحزان والقلق

ثم تنفس الصعداء، فإذا هو ميت. فقام الشيخ وقمت معه فصرت إلى خبائه، فإذا جارية بضة تبكي وتفجع، فقال لها الشيخ: ما يبكيك أنت؟ فأنشأت تقول:

ألا أبكي لميتٍ شفَّ مهجته[1]

طول السقام وأضنى جسمه الكمدُ

يا ليت من كلَّف القلب المهيم به

عندي فأشكو إليه بعض ما أجد

أنشرُ برديك أسرى ليَ النسيم به

أم أنت حيث يناط السهد والكبد؟

ثم انثنت على كبدها وشهقت فإذا هي ميتة.

وهذه شاعرة أخرى، ألمّ بها الوجد فقالت شعرا جميلاً، ولكنها لم تُعرف وبقيت منسية، انظر قولها:

أخبرني محمد بن أحمد الكاتب، قال: أخبرنا أحمد بن أبي خثيمة عن الحرمازي، قال:

كانت امرأة من بني عامر في نجعة فكلفت بفتى منهم، فلما لاح لهم البرق، ورجع أهلها إلى مياههم قالت:

---

(1) أشعار النساء، لأبي عبيد الله المرزباني، عالم الكتب.

تمتعتُ من أهل الكثيب بنظرةٍ [1]

وقد قيل ما بعد الكثيب كثيب

فإنَّ الكثيب الفرد من أيمن الحمى

إليَّ وإن لم آته لحبيب

ألا حبذا ريح الغضا حين أدرست

بقضبانه جنح الظلام جنوب

إذا هبَّ علوي الرياح وجدتني

كأني لعلوياتهنَّ نسيب

ألا حبذا الأصعاد لو أستطيعه

ولكن (...) لا ما أقام عسيب

وهذه شاعرة ثالثة، مجهولة النسب والاسم، انظر قولها وحكايتها:

حدثني أبو عبد الله الحكيمي، قال: حدثنا أحمد بن أبي خثيمة عن عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمارة بن حريم عن أشياخ من بني مرة، وقالوا:خرج فتى منا إلى ناحية الشام والحجاز مما يلي تيماء والشراة وأرض نجد في طلب بغية له، فإذا هو بخيمة قد رفعت له، وقد أصابه المطر، "فعدل إليها فتنحنح" فإذا امرأة قد كلمته، وأنزلته، وراحت إبلهم "وغنمهم فإذا" أمر

(1) أشعار النساء، لأبي عبيد الله المرزباني، عالم الكتب

عظيم كثرة ورعاء، فقالت سلوا هذا الرجل من أين أقبل؟ قلت: من ناحية تهامة ونجد قالت: يا عبد الله أي بلاد نجد وطئت؟ قلت كلها.

قالت: بمن نزلت هناك؟ قلت: ببني عامر، فتنفست الصعداء، ونظرت إليها فإذا شقة قمر لم ترعيني مثلها، فقالت: بأي بني عامر؟ فقلت: ببني الحريش، فاستعبرت وبكت وانتحبت وقالت:هل سمعت بذكر فتى يقال له: قيس يلقب بالمجنون؟ قلت: أي والله، ونزلت بأبيه وأتيته حتى نظرت إليه يهيم في تلك الفيافي ويكون مع الوحش ما يعقل ولا يفهم، إلا أن تذكر له ليلى فيبكي وينشد الأشعار فيها. فبكت حتى ظننت-والله- أن قلبها قد انصدع، فقلت: أيتها المرأة اتقي الله. فمكثت طويلاً على حالها،

ثم أنشأت تقول:[1]

ألا ليت شعري والخطوب كثيرةٌ

متى رَحل قيس مستقلٌ فراجع

بنفسي من لا يستقلُّ برحله

ومن هو إنْ لم يحفظِ الله ضائعُ

ثم غشي عليها فلما أفاقت قلت: من أنت يرحمك الله؟ قالت: أنا ليلى المشؤومة عليه.

فما رأيت مثل حزنها وجزعها.

(1) أشعار النساء، أبو عبيدالله المرزباني — عالم الكتب

هذه مشكلة، أشعر أنه لا بدّ من حلها والكشف عن كنوزها، وإن غابت بين طيات الصحف القديمة، فشعر المرأة العربية ونثرها كنزان ثمينان، لا بدّ من التنقيب عنهما، والكشف عما يمكن الوصول إليه منهما، حتى نحظى بذلك النسيج الجميل من شعرها ونثرها. ويظهر أدبها على حقيقته، ويأخذ مكانته اللائقة بين الآداب العالمية القديمة والحديثة، ونحن نعلم أن هذا الأدب سيكشف لنا عن أحداث جسامٍ عبّرت عنها المرأة في شعرها ونثرها، وشاركت في صنعها ووضع نتائجها.

ألم تكن تلك المرأة ملكة؟ ألم تكن تلك المرأة قائدة للجيوش؟ ألم تشارك تلك المرأة في القتال إلى جانب الرجل في الجاهلية وفي الإسلام؟

إذن.. صار لها حق علينا.. أن نبحث عن أدبها من شعر ونثر حتى نعلم صميم حقيقتها وموقعها وتأثيرها فنفيها حقها.

هذا البحث، يبين لنا شيئا من ذلك، وأرجو أن تتتابع بحوث أخرى ضافية مستفيضة، حتى نصل إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه في هذا المجال الأدبي الرفيع.

الفصل الثاني
أدب المرأة العربية

الفصل الثاني
أدب المرأة العربية

الشعر:

عند الحديث عن الواقع الثقافي للمجتمع العربي، لا بدّ لنا من الدخول في سلسلة من القيم والأعراف والتقاليد والمفاهيم الفكرية ذات الجذور الدينية والاجتماعية والنفسية، بدءاً من العصر الجاهلي وحتى العصور اللاحقة.

سنلاحظ أن مسيرة الشعر النسائي تبدو أكثر تحديداً ووضوحاً في عصرنا الحاضر كمثال، بسبب الوعي الزائد حول القضايا الراهنة ؛ كحقوق المرأة وحريتها ومساواتها بالرجل.

وهنا تظهر أسئلة لا بدّ من طرحها:

- ما سرّ غياب النساء في التاريخ الأدبي العربي.
- هل هناك جماليات نسائية أدبية مستقلة بذاتها.

هل هناك اختلاف جوهري بين كتابة الرجال وكتابة النساء

وهذا يقودنا إلى مبحث (مأزق المرأة الشاعرة) وتشعبات البحث في الكتابة النسوية، [1]

(1) مأزق المرأة الشاعرة، د. نجمة عبدالله ادريس.

مع أن المراجع التاريخية تحدثنا عن ما يسمى بالمجتمع الأموي ؛ حين حظيت المرأة بمكانة أكبر، وراجت فكرة أنّ قدرتها على الإنجاب هي قدرة على خلق الحياة، ومع هذا نقرأ قول الفرزدق: (إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فاذبحوها) يشير إلى امرأة قالت شعراً.

وهناك شاعرات لا نعرف لهنّ شعراً، وقد تجاهل الرواة شعرهنّ، فزهير بن أبي سلمى، له اختان شاعرتان، وليلى الأخيلية شاعرة لم تتمكن من فرض شاعريتها إلا بعد أن تحوّل شعرها في حبيبها توبةبن الحميرمن غزلٍ إلى رثاء وكما رأينا في بعض النماذج التي أوردتها أعلاه، فهناك شاعرات لم ينسبن ولم يُعرفن ولم نقع لهنّ على أسماء..

وأزعم أن المرأة قالت الشعر في معظم أغراضه، وأجادت في ذلك كما أجاد كبار الشعراء،

فهذه ليلى الأخيلية تفتخر:[1]

نحن منعْنا بين أسْفَلِ ناعت

إلى وارداتٍ بالخميس العرمرم

بحيّ إذا قيل أظعنوا قد أتِيتُم

أقاموا على هَوْلِ الجنانِ المُرَجَّمِ

تحمَّل أولاهم من الدار غدوةً

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الكتب العلمية

وتمسي بها أخراهم لم تَصَرَّمِ

وقصتها مع الحجاج مشهورة، وكما رواها أبو عبدالله الحكيمي عن يحيى بن يموت بن مزروع، قال:

أخبار ليلى مع الحجَّاج بن يوسف وذلك في آخر عمرها:[1]

حدثني أبو عبد اللـه الحكيمي. قال: حدثني يحيى بن يموت بن المزرع قال: حدثنا رفيع بن سلمة. قال: حدثني أبو عبيدة، قال: دخلت ليلى الأخيلية على الحجاج فأنشدته:

فنعم فتى الدنيا لئنْ كانَ فاجراً

وفوق الفتى إن كان ليسَ بفاجرِ

فتىً هو أحيا من فتاةٍ حييّة

وأشجعُ من ليْثٍ بخفانَ خادرِ

فتىً فيه فتيانيَّةٌ أريحيَّةٌ

بقيَّةُ أعرابيَّةٍ من مُهاجر

فقال فتى من جلساء الحجاج: واللـه أيها الأمير ما كان في توبة عُشير ما تقول ليلى.

فقالت ليلى: واللـه أيها الأمير لو رأى ذلك توبة لتمنى أن لا تبقى في داره بكر إلا حملت منه.

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الكتب العلمية

وأخبرني عبد اللـه بن يحيى قال: حدثني محمد بن جعفر، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال:

حدثني أبي الحسن الموصلي عن سلمه بن أيوب بن مسلمة الـهمذاني فقـال: كان جدي عند الحجاج فذكر أن امرأة قد دخلت عليه فسلمت فرد عليها، وقـال: من أنت؟ قالت: أنا ليلى. قال: صاحبة توبة بن حمير؟ قالت: نعم. قال: فماذا قلـت فيه للـه أبوك؟ قالت:

قلت:

فإنْ تكنِ القتلى بواءً فإنَّكم

فتىً ما قتلتُم آل عوفِ بن عامرِ

وذكر منها أبياتاً فقال لـها أسـماء بـن خارجـة الفـزاري: أيتهـا المـرأة إنـك لتصغين لـهذا الرجل بشيء ما تعرفه به العرب. قال: فقالـت: أيهـا الرجـل: هـل رأيت توبة؟ قال: لا. قالت:

أصلح اللـه الأمير، فواللـه لو رأى توبة فود أن كل عاتق في بيته حامـل مـن توبة. قال: فكأنما فقئ في وجه أسماء حب الرمان. فقال لـه الحجاج: وما كان لـك ولـها.

حدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال حدثنا أحمد بن يحيى النحـوي عـن عبـد اللـه بن أحمد المكي عن عبد اللـه بن مـشهور، قـال: دخلـت لـيلى الأخيليـة عـلى الحجاج فقال لـها: أنشديني ما قلت في توبة فأنشدته:

كأنّ فتى الفتيان توبةَ لم ينخْ قلائص يفحصن الحصى

وأكملت:

نَظَرْتُ ورُكنٌ من بُوَانَةَ دونَنا

وأركانُ حِسْمَى أيُّ نَظْرَةِ ناظِرِ

إلى الخيل أَجْلَى شَأْوُها عن عَقِيرةٍ

لعاقِرِها فيها عَقيرَةُ عاقِرِ

كأنَّ فَتى الفِتْيَانِ تَوْبَةَ لَم يُنِخْ

قَلائِصَ يَفْحَصْنَ الحَصَى بالكَرَاكِرِ

ولم يَبْنِ أَبْرَاداً رِقاقاً لِفِتْيَةٍ

كِرامٍ ويَرْحَلْ قَبْلَ فَيْءِ الهَوَاجِرِ

فتًى لا تَخَطَّاهُ الرِّفَاقُ ولاَ يَرَى

لقدْرٍ عِيَالاً دونَ جارٍ مُجاوِرِ

وكنتَ إذا مَوْلاَكَ خاف ظُلاَمَةً

دعاكَ ولم يَقْنَعْ سِواكَ بنَاصِرِ

ولها مع توبة والحجاج قصص لا تنسى، فمنها:

قال لها الحجاج: يا ليلى ما الذي رابه من سفورك يوم سفرت؟ قالت: أيها الأمير كان يلم بي كثيراً، فأرسل إلي يوماً: إني آتيك، ففطن الحي، فأرصدوا له، فلمّا أتاني سفرت فعلم أن ذلك لشرّ، فلم يزد على التسليم والرجوع، فقال: لله درك

فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه قالت: لا والله الذي أسأله أن يصلحك، غير أنه قال لي مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر، فأنشأت أقول:

وذي حاجة قلنا له لا تَبُحْ بها فليس إليها ما حييتَ سبيل

لنا صاحب لا نبتغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليل

فلا والذي أساله أن يصلحك، ما رأيت منه شيئاً حتى فرّق الموت بيني وبينه.

قال: ثم مَه.

قالت: ثم لم يلبث أن خرج في غزاة له فأوصى ابن عمه: إذا أتيت الحاضر من بني عُبَادة فنادِ بأعلى صوتك:

عفا الله عنها هل أبيتنَّ ليلة من الدهر لا يسري إلَيّ خيالُها

فخرجت وأنا أقول:

وعنه عفا ربّي وأحسن حاله فعزٌّ علينا حاجة لا ينالُها

قال: ثم مَهْ،

قال: ثم لم يلبث أن مات، فأتى نَعِيُّه

قال: فأنشدينا بعض مراثيك فيه، فأنشدته:

لتبك العذارى من خفاجة نسوةٌ بماءِ شؤون العبرة المُتَحَدّر

قال لها فأنشدينا:

كـأنّ فتـى الفتيـان توبـة لم يُـنِخ قلائص يفحصن الحصا بـالكَراكر

فأنشدته، فلمّا فرغت من القصيدة، قال محصن الفقعسي، وكان من جلساء الحجاج، من هذا الذي تقول هذه هذا فيه؟، فوالله إنّي لأظنها كاذبة. فنظرت إليه، ثم قالت: والله أيهذا الأمير، إن هذا القائل لو رأى توبة لسرّه ألاّ يكون في داره عذراء إلاّ وهي حامل منه.

فقال له الحجاج: هذا وأبيك الجواب، وقد كنتَ عنه غنياً، ثم قال لها: سلي يا ليلى تُعطي. قالت: أعط فمثلك أعطى وأحسن، قال: لك عشرون. قالت: زد، فأكثر [فمثلك زاد فأكثر]،

قال:لك أربعون، قالت: زد، فمثلك زاد فأفضل، قال: ستون، قالت: زد فمثلك زاد فأكمل، قال: لك ثمانون، قالت: زد فمثلك زاد فتمم قال: لك مائة، واعلمي يا ليلى أنها غنم، قالت: معاذ الله أيها الأمير، أنت أجود جوداً، وأمجد مجداً، وأورى زنداً من أن تجعلها أعنزاً، قال: فما هي ويحك يا ليلى قالت: مائة ناقة برعاتها، فأمر لها بها، ثم قال: ألك حاجة بعدها قالت: تدفع إلى النابغة الجعدي في قيد. قال: قد فعلت، وقد كانت تهجوه ويهجوها فبلغ النابغة ذلك فخرج هارباً عائذاً بعبد الملك بن مروان، فاتبعته إلى الشام.

ومن نوادر النساء الشاعرات ما حدث لميسون الكلبية وكان معاوية بن أبي سفيان قد تزوجها، ونقلها من البادية إلى دمشق. فعافت العيش في المدينة

واشتاقت إلى البادية، وقالت شعراً رائعاً في شوقها إلى أهلها ووطنها.. وإليك حكايتها:

أَخْبَرَنا أبو القاسم بن الحصين، أنا الأمير أبو محمّد الحسن بن أبي الفتح عيسى بن المقتدر بالله، قراءة عليه، سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، قال: إن ميسون ابنة بحدل الكلبية لما زوّجت مُعَاوِيَة بن أبي سفيان ونقلت إلى دمشق، وأسكنت قصراً من قصور الخلافة حنت ذات يوم إلى البادية فأنشأت تقول: [1]

للبس عباءة وَتَقَرَّ عيني	أحبّ إليّ من لبس الشفوفِ
وبيتٌ تخفق الأرواح فيه	أحبّ إليّ من قصر منيف
وكلب ينبح الطراق عني	أحبّ إليّ من هرّ ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعب	أحب إليّ من بغل زفوف
ولبس عباءة وتقرّ عيني	أحب إليّ من لبس الشفوف
وخرق من بني عمي نحيف	أحب إليّ من علج عليف
وأصوات الرياح بكلّ فج	أحب إليّ من نقر الدفوف
خشونة عيشتي في البدو أشهى	إلى نفسي من العيش الطريف

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الكتب العلمية

فما أبغي سوى وطني بديلاً   فحسبي ذاك من وطن

فقال مُعَاوِيَة: جعلتني علجاً، وطلّقها، وألحقها بأهلها.

وما دمنا في مجال بحثنا ندلل على قدرة المرأة على قول الشعر في مجالاته المختلفة، فإننا نورد نماذجَ من شعرها في أغراض متعددة:

1- في الحنين إلى الوطن:

جلست امرأة ضبيّة تسمى زينب أم الحسام، على بركة في روضة بين الرياحين والأزهار، وكانت قد احتملت من البادية إلى الحَضَر، قيل لها: أليس هذا أطيب مما كنت فيه بالبادية؟ فأطرقت ساعةً ثم تنفست وقالت:(1)

أقول لأذنيّ صَاحبيّ أُسرّهُ   وللعين دمعٌ يُحدرُ الكحلَ

لعمري لنهرٌ باللوى نازح   بعيد النواصي غير طرق مشاربه

أحبُ إلينا من صهاريج مُلّئت   لِلِب ولم تُملَح لديّ ملاعبه

فيا حبذا نجدٌ وطيب ترابه   إذا هُضِبته بالعشيّ هواضبه

وريح صبا نجد إذا ما تنسمت   ضحى اوشرت جنح الظلام

وأقسم لا أنساه ما دمتُ حيةً   وما دام ليلٌ من نهار يعاقبه

---

(1) الرسائل للجاحظ

وهذه شاعرة أخرى أحبت وطنها أكثر من حبها زوجها، حتى طلقها، فهي تقول:

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو الحاتم عن الأصمعي، قال: تزوج رجل من بني عقيل امرأة منهم، فدخل يوماً وهي تمثل بيت عزل فقال لها: ما هذا الذي تتمثلين به، لعلك عاشق؟ قالت: لا، ولكن أبيات حضرتني. فقال: لئن سمعتك إلى مثل هذا لأوجعن ظهرك وبطنك.

فأنشأت تقول:[1]

فإنْ تضربُوا ظهري وبطني كليهما

فليس لقلبٍ بين جنبيَّ ضارب

يقولون: عَزِّ النفسَ عمنْ توده

وكيف عزاء النفس والشوق غالب

- وهؤلاء نسوة من بني عقيل أيضاً،

من يشتري مِني زوجاً خَبا[2]

أخبّ من ضبٍّ يداهي ضبا

كأنّ منه الحاجِبَ الأزبّا

قنَيْفِذ بقنْفِذٍ أدَبّا

(1) أشعار النساء، أبو عبيدالله المرزباني، عالم الكتب

(2) أشعار النساء، أبو عبيدالله المرزباني، عالم الكتب

كأنّ خصْيَيْهِ إذا أكبا

فرّوجتان تلقطان حَبا

فأجابها ثروان فقال:

أوسعتني عرامةً وَسَبا

يا ربِّ أركسه لـها يا رَبا

فاقدر لـها أربد مسْلحِبا

تخالُ ما استقْدم منه ضبّا

وما سواه وَرَلاً مُهْتبا

يفرِغ في عرقوبِها المكْرَبا

مجاجَ نابين إذا ما أكرَبا

في جسمها زايل إربٌ إربا

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي سنة أربع وسبعين ومائتين، قال: حدثنا عبد اللـه بن محمد التوزي، قال: أنشدني أبو زيـد سـعيد بـن أوس الأنصاري لامرأة من بني عقيل، قال محمد: وغير أبي زيد ينشده لغيرها:

أخبرتني يا قلب أنّك ذاهل[1]

لليلى فذقْ ما كنتَ قبل تقول

ومنيتني حتى إذا ما تقطعتْ

(1) أشعار النساء، أبو عبيدالله المرزباني، عالم الكتب

قوىً من قوىً اعوَلتَ دامَ عويل

وإن سأل الواشون عنها فقل لـهم

وذاك عطاء للوشاةِ جزيل

ملمٌّ بليلى ساعةً ثم إنه

لـهاجِر ليلى بعدها فمطيل

- في الرثاء

قالت امرأةٌ ترثي طفلها: [1]

يا عمرو مـالي عنـك مـن صـبرِ　　يـا عمـرو يـا أسـفي عـلى عمـرو

لله يـــا عمـــرو وأيّ فـــتىً　　كفنـتُ يـوم وُضـعتَ في القبـــر

أحثـــو الـــتراب عـــلى مفارقـــه　　وعـــلى غـــضارة وجهـــه النـــضر

وقالت صفية الباهلية في رثاء زوجها والوفاء له:[2]

عشنا جميعاً كغصني بانـةٍ سـمقا　　حيناً على خير ما تنمى لـه الـشجرُ

حتى إذا قيل قد طابت فروعهما　　وطال قنواهما واستنضر الثمـــرُ

(1) زهرة الآداب وثمر الألباب، الحصري.

(2) الحماسة البصرية، صدر الدين البصري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

أخنى على واحدي ريب الزمان يبقى الزمان على شيء ولا يذرُ

فاذهب وحيداً على ما كان من فقد ذهبتَ فأنتَ السمعُ والبصرُ

وما رأيتك في قومٍ أسرُّبهم إلا وأنت الذي في القوم تشتهرُ

كنا كأنجم ليلٍ بيننا قمرٌ يجلو الدجى، فهوى من بيننا القمرُ

أليس هذا شعراً معجباً رقيقاً، يمسُّ شغاف القلوب؟ أليس يصدر عن نفس شفافة ودودة ومحبةٍ، وصدق رسول الله الكريم حينما قال: تزوجوا الودود الولود.

وفي الرثاء أيضاً:

قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:[1]

قذى بعينك أم بالعين عوار

أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

تبكي لصخر، هي العبرى وقد ثكلت

ودونه من جديد الترب أستار

لابد من ميتة في صرفها غير

والدهر في صرفه حول وأطوار

(1) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية.

يا صخر وراد ماء قد تناذره

أهل الموارد ما في ورده عار

مشى السبنتى إلى هيجاء معضلة

لـه سلاحان أنياب وأظفار

فما عجول على بو تطيف به

لـها حنينان إصغار وإكبار

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت

فإنما هي إقبال وإدبار

لاتسمن الدهر في أرض وإن رتعت

فإنما هي تحنان وتسجار

يوما بأوجد مني يوم فارقني

صخر وللدهر إحلاء وإمرار

فإن صخرا لوالينا وسيدنا

وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الـهداة به

كأنه علم في راسه نار

- غنى في هذين البيتين الأولين ابن سريج، من رواية يونس-:

لم ترأه جارة يمشي بساحتها

لربية حين يخلي بيته الجار

ولا تراه وما في البيت يأكلـه

لكنه بارز بالصحن مهمار

مثل الرديني لم تنفد شبيبته

كأنه تحت طي البرد أسوار

في جوف رمس مقيم قد تضمنه

في رمسه مقمطرات وأحجار

طلق اليدين بفعل الخير ذو فجر

ضخم الدسيعة بالخيرات أمار

ورفقة حار هاديهم بمهلكة

كأن ظلمتها في الطخية القار

3- في الفخـر

قالت عاتكة بنت عبد المطلب تفخر بيوم عكاظ: [1]

ســـائلْ بنـــا في قومنـــا   وكفـــاك مـــن شرٍ سماعُـــه

قيـــساً ومـــا جمعـــوا لنـــا   في مجمـــعٍ بـــاقٍ شناعُـــه

---

(1) بلاغات النساء، ابن طيفور .

فيـــه الـــسّنَوّرُ والقنـــا والكـــبش ملتمـــعٌ قنـاعـــه

بعكـــاظ يُعـــشي الناظـــريـــن إذا هـــمُ لمحـــوا شـــعاعه

وفي الفخر أيضا،

هذا ربيعة بن مكـدّم وكان فتـىً، وقـد أصـيب في الطعـان، ونزفـت يـده، فأسرع إلى أمه فعصبته، ولم يذهب هذا بلبها، بل قالت:(1)

إنـــا بنـــو ثعلبـــة بـــن مالـــك مُـــرَزّأٌ أخيارنـــا كـــذلك

مـن بـين مقتـول وبـين هالـك ولا يكـــون الـــرزءُ إلا ذلـــك.

وفي الكرم والجود، هذه عُـتبة بنت عفيف، أم حاتم الطائي، موفـورة الثـروة فياضة اليد، فكانت لا تبقي على شيء إذا قصدها سائل، فلما رأى إخوتها إتلافهـا، حجروا عليها مالها،حتى إذا رأوا أنها وجدت ألم ذلـك، ردوا عليهـا بعـض إبلهـا، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها، تسألها، فقالت لها عُتبة: دونك هذه الإبـل.. فوالله لقد عضني الجوع،فلا أضيّع معه سائلاً..

ثم أنشأت تقول:(2)

لعمـرك قِـدماً عـضني الجـوعِ فآليـتُ ألا أمنـع الـدهرَ جائعـا

(1) المرأة العربية، عبدالله عفيفي، دار مصر للطباعة، القاهرة .

(2) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري.

فقولا لهذا اللائمي اليوم أعفني وإن أنت لم تفعل فعضّ الأصابعا

فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم سوى عذلكم أو عذل من كان

وماذا ترون اليوم إلا طبيعةً فكيف بتركي يا ابن أمِ الطبائعا

4- في اللوم والإغراء

وقالت بنت حُكَيم بن عمرو العبدية: [1]

أيرجو ربيع أن يؤوب وقد حُكَيمٌ وأمسى شلوه بمطبّقِ

فإن كنتمُ قوماً كراماً فعجلوا له جرأة من بأسكم ذات مِصدق

فإن لم تنالوا نيلكم بسيوفكم فكونوا نساءً في الملاء المخلّق

وفي الهجاء للنساء باعٌ طويلٌ أيضاً:

قالت امرأة من عبد القيس تهجو قومها في محاربتهم:

لبئس حماة الحربِ يوم لقيتم[2]

غداة جواثا إذ تلوذون بالنخلِ

تركتم أبا المقياس تحت لوائهم

(1) المرأة العربية، عبدالله عفيفي، دار مصر للطباعة.

(2) أشعار النساء، أبو عبيدالله المرزباني، عالم الكتب.

لذي الخال ذوّاد الطعام أخي عكلِ

وفي الوصايا، هذه امرأة توصي ابنتها قبل زفافها:

أخبرني أبو ذر القراطيسي، قال: حدثني الحسين بن عبد الرحمن: أن أعرابية من بني صباح من عبد القيس أوصت ابنتها عند هدائها فقالت:

لا تُهجري في القول للبعل ولا

تُغريه بالشَرّ إذا ما أقبلا

فأوّل الشر يكون جللا

محتقراً ثم يصير معضلا

ولا تَنثي ما عليه بخلا

لتكشفي من أمره ما حملا

5- وفي الوصف

كان أعرابي عنده أربع نسوة، كِندية وغسانية و شيبانية وغَنوية، والأعرابي غساني، وكنّ متظاهرات على الغَنوية، فجمع بينهنّ ثم قال:[1]

لتقل كل واحدة منكنّ قولاً تصف فيه نفسها.

فقالت الكِندية:

فإني جنى النحل والزنجبيل   وصفو المدامة والسلسبيل

(1) بلاغات النساء، ابن طيفور.

يــزين ســنا الوجــه لي مبــسمٌ كمثــل الــلآلي وعــين كحيــل

وقالت الغسانية:

بــراني إلهــي إلــه الــسما نــصفاً قــضيباً ونــصفا كثيبــا

وألبــسني مــا يــسوء الحــسود جمــالاً وملحــاً وحــسنا عجيبــا

وقالت الشيبانية:

أفــوق النــساء إذا مــا اجــتمعن كبــدر الــسماء نجــومَ الــدجى

ويقــصر عنــي جميــع الــصفات فمــن نــالني نــال فــوق المنــى

وقالت الغَنوية:

تــزوّدْ بعينيــك مــن بهجتــي فقــد خلــق الله منــي الجــمالا

إذا مــا تفرّســتَ في رؤيتــي رأيــت هــلالاً وأحــوى غــزالا

الفصل الثالث
أدب المرأة العربية

الفصل الثالث

أدب المرأة العربية

النثــر:

إنّ المرأة التي أفرختها أشدّ أمم الأرض بأسا، وأسماها نفساً، وأدقها حساً، وأرسخها في المكرمات أقداماً وأرحبها في المجد ذراعاً، تلك المرأة التي أحلها الرجل أسمى المواطن من نفسه ورأيه ومشورته، لحريّ بالقلم أن يقف دون وصفها خاشعاً متواضعاً.

أما المرأة التي سُلتبت نفسها ورأيها، وحُرمت نصيبها من الحياة ووُسمت بوسام الذل، فإنها لا تكون امرأة فاضلة، لأن التي استشعرت المهانة من ذويها، هانت عليها نفسها، وأحرى بمن هانت عليه نفسه ألا يمتنع عن دنية ولا يعتصم من منقصة.

كل ذلك أدركه العرب منذ القديم، فقد ذكر المؤرخ كلاي أن المرأة يومذاك (2460-2081 ق.م.) في بابل، كانت ممتعة بحرياتها كاملة غير منقوصة، وأنها كانت هي والرجل على سواء في تصريف الأمور وتسنم المناصب.

وأين للضعف من سبيل إلى المرأة العربية التي تقول (وهي من كندة)، وقد استحرّ القتل بالمدافعين عنها:

أبوا أن يفروا والقنا في نحـورهم ولم يبتغوا من رهبة الموت سُـلّما[1]

ولو أنهم فروا لكانوا أعـــــزةً ولكــنْ رأوا صــبراً عـلى المـوت

وهنا نورد نثاراً من نثرهـا، نـدلل بـه عـلى سـلامة لغتهـا وصـفاء سـجيتها وطبيعتها، وبعد نظرها، في قولها:

أ - حدّث أبو عمرو بن العلاء قال: [2]

تزوج رجل من بني غدانة بامرأةٍ من جعدة، ثم وقع بين الحيين ما حمله عـلى فراقها، فحمله من ذلك غـمّ، فلما اعتزمت الرحيل قـال: اسـتمعي ويـستمع مـن حضر، أما لقد اعتمدتك برغبـة، وعاشرتـك بمحبـة، ولم أَجـد عليـك زلــة، ولم تدخلني لك مَــلّة، وإن كان ظاهرك لسرور وباطنك للهوى، ولكن القدر غالـب وليس له صارف.

فقالت له مجيبة: أثنيتَ وإني مُـثنية، فجزيتَ من صاحب ومصحوب خيرا، فما استربت خيرك ولا شكوتُ ضيرك، ولا تمنّـت نفسي غيرك، ومـا ازددتُ إليـك إلا شرها، ولا أحسستُ في الرجال لك شبها.

ثم افترقا.

---

(1) عيون الأخبار – ابن قتيبة الدينوري.

(2) نور القبس، أبو عبيد الله المرزباني.

ب - وحدّث المدائني، قال:

تزوج حصن بن خُليد ببنت الورد بن الحارث، ثم طلقها، فجاء إخوتها ليحملوها، فقالت: مروا بي على المجلس بالحي، اسلم عليهم، فنعم الأحماء كانوا، فأقبل حصن وهي في قُبها، فقالت:[1]

جزاكم الله خيراً، فما أكرم الجوار وأكفّ الأذى، قالوا: ما الذي كان عن ملأمنا

ولا هوى؟ فقالت: اللهم إني لم أطلق من بغض ولا قليً، فعليكم السلام.

جـ - ومن حسن أدبها، أن الحارث بن عمرو ملك كندة، خطب إلى عوف بن مُحَلّم الشيباني، ابنته، حين علم بجمالها وحسنها، فقال قولته:

ما وَرَاءِكِ يَا عِصَام؟[2]

قَالَ المفضل: أولُ من قَالَ ذلك الحارث بن عمرو مَلِكُ كِنْدَةَ، وذلك أنه لما بلغه جَمَالُ ابنة عَوْف بن مُحَلم الشَّيْبَاني وكمالُها وقوة عَقْلها دعا امرأةً من كِنْدَة يُقَال لها عِصَام ذاتَ عقل ولسان وأدَب وبَيَان، وقَالَ لها: اذهبي حتى تعلمي لي عِلْم ابنَةِ عَوْف، فمضَتْ حتى انتهت إلى أمها، وهى أمامَةُ بنةُ الحارث، فأعلمتها ما قدمَتْ له، فأرسلت أمامة إلى ابنتها، وقَالَت: أي بنية، هذه خالتُك أتَتْكِ لتنظر إليك، فلاَ تستُري عنها شيئاً إن أرادت النظر من وجهٍ أو خلق، وناطقيها إن استنطقتك،

---

(1) بلاغات النساء، ابن طيفور

(2) معجم الأمثال والحكم، أبو الفضل الميداني

فدخلت إليها فنظرت إلى ما لم ترقَطُ مثله، فخرجت من عندها وهي تقول: ترك الخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ القَناع، فأرسلتها مثلاً، ثم انطلقت إلى الحارث فلما رآها مقبلة قَالَ لها: ما وراءك ياعصام قَالَت: صَرَّحَ المَخْضُ عن الزُّبْد، رأيت جَبْهة كالمِرْآة المصقولة، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل، إن أرْسَلَتْه خِلْته السلاَسل، وإن مشطته قلت عناقيد جَلاَّها الوابل. وحاجبين كأنما خُطّا بقلم، أو سُودا بحمم، تقوّسا على مثل عَيْن ظبية عَبْهَرَة، بينهما أنف كحد السيف الصَّنيع، حَفَّتْ به وَجْنَتَان كالأرجُوان، في بياض كالجُمان، شُقَّ فيه فم كالخاتم، لذيذ المبتسم، فيه ثَنَايا غُر ذات أشَر، تقلَّبَ فيه لِسَان، ذو فصاحة وبيان، بعقل وافر، وجواب حاضر، تلتقي فيه شَفَتَان حَمْرَاوان تحلبان ريقاً كالشهد إذا دلك، في رقبة بيضاء كالفضة، ركبت في صَدرْ كصَدْر تمثال دُمْية، وعَضُدان مُدْمَجَان يتصل بها ذراعان ليس فيهما عظم يُمَسُّ، ولاَ عرق يجس، ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين عَصَبُهُما، تعقد إن شيءت منهما الأنامل، نتأ في ذلك الصدر ثَدْيان كالرمَّانتين يخرقان عليها ثيابها، تحت ذلك بطن طُوِى طيَّ القَبَاطي المدمجة كسر عُكَناً كالقَرَاطيس المدرجة، تُحِيطُ بتلك العكن سُرَّة كالمُدْهُن المجلو، خلف ذلك ظهر فيه كالجدول، ينتهي إلى حضر لولاَ رحمة اللـه لاَ نبَتَرَ، لـها كفَلُ يُقْعِدها [ص 263] إذا نهضَت وينهضها إذا قعدت، كأنه دِعْصُ الرَّمْل لَبَّده سقوط الطَّلِّ، يحمله فَخِذَانِ لُفَّا كأنما قلبا على نَضَد جُمَان، تحتهما ساقان خَدْلَتَان كالبرديتين وُشيتا بشعر أسود كأنه حلق الزرد، يحمل ذلك قَدَمَان كحذو اللسان، فتبارك اللـه

مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقها، فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها، فزوجها إياه، وبعث بصداقها، فجهزت، فلما أراد أن يحملوها إلى زوجها قَالَت لها أمها: أي بنية، إن الوصية لو تُرِكت لِفَضلِ أدبٍ تُرِكت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومَعُونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لِغِنَى أبويها وشدَّة حاجتهما إليها كنتِ أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقْنَ، ولهن خلق الرجال. أي بنية، إنك فَارقْتِ الجوَّ الذي منه خَرَجْتِ، وخَلَّفْتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ، إلى وَكْر لم تعرفيه، وقَرِين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكا، فكونِي له أمَةً يكُنْ لك عبداً وَشِيكا، يا بنية احْمِلِي عنى عَشْرَ خِصَالٍ تكن لك ذُخْراً وذِكْراً:

الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهُّد لموقع عينه، والتفقُّد لموضع أنفه، فلاَ تَقَع عينُه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

ثم احتُملت إليه، فعظم موقعها منه، وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن.

د – وصف أم معبد للرسول الكريم (1)

لما فارق رسول الله مكة مهاجرا إلى المدينة ومعه أبو بكر، مرا بخيمة أم معبد. ولما جاء أبو معبد سأل زوجته أن تصف الضيف الذي حلّ بخيمتها، وهنا أورد القصة كما رواها الرواة.

(1) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية

حدثنا محمد بن علي الصائغ المكي ثنا عبد العزيز بن يحيى المديني ثنا محمد بن سليمان بن سليط الأنصاري عن أبيه عن جده قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة معه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وابن أريقط يدلهم الطريق فمر بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال لها يا أم معبد هل عندك من لبن قالت لا والله وإن الغنم لعازبة قال فما هذه الشاة التي أراها في كفاء البيت قالت شاة خلفنا الجهد عن الغنم قال أتأذنين في حلابها قالت والله ما ضربها من فحل قط وشأنك بها فمسح ظهرها وضرعها ثم دعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه فملأه فسقى أصحابه عللا بعد نهل ثم حلب فيه أخرى فملأه فغادره عندها وارتحل فلما جاء زوجها عند المساء قال لها يا أم معبد ما هذا اللبن ولا حلوبة في البيت والغنم عازبة فقالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل ظاهر الوضاءة مليح الوجه في أشفاره وطف وفي عينيه دعج وفي صوته صحل غصن بين غصنين لا تشنأه من طول ولا تقتحمه من قصر لم تعلوه ثجلة ولم تزر به صعلة كأن عنقه إبريق فضة إذا نطق فعليه البهاء وإذا صمت فعليه الوقار كلامه كخرز النظم أزين أصحابه منظرا وأحسنهم وجها

محشود غير مفند له أصحاب يحفون به إذا أمر تبادروا أمره وإذا نهى انتهوا عند نهيه.

قال: هذه صفة صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته ولأجهدن أن أفعل ولم يعلموا بمكة أين توجه رسول الله ﷺ حتى سمعوا هاتفا يهتف على أبي قبيس:

جرى الله خيرا والجزاء بكفة

رفيقين قالا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به

فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فما حملت من ناقة فوق رحلها

أبر وأوفى ذمة من محمد

وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله

وأعطى برأس السائح المتجرد

ويهن بني كعب مكان فتاتهم

ومقعدها للمؤمنين بمرصد

هـ - وهذه سفانة بنت حاتم الطائي، وقد وقعت في الأسر لدى المسلمين، فقامت إلى رسول الله الكريم، تطلب منه أن ينظر في حالها وهي ابنة حاتم الطائي.. [1]

ذكرها محمد بن إسحاق في المغازي قال أصابت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم في سبايا طي فقدمت بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت في حظيرة بباب المسجد فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت إليه وكانت امرأة جزلة فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله ومضى حتى مر ثلاثا قالت

(1) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني

فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه قالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنيني فسألت عن الرجل الذي أشار إلي فقيل علي بن أبي طالب وقد ركب من بلى فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدم رهط من قومي قالت وكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت على أخي فقال ما ترين في هذا الرجل فقلت أرى أن نلحق به قال بن الأثير كذا رواه يونس ولم يسم سفانة وسماها غيره ورواه عبدالعزيز بن أبي رواد بنحوه وزاد وكانت أسلمت وحسن إسلامها أخرجه أبو نعيم من طريقه وأخرج قصتها الطبراني وسماها وأوردها الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسياقه أتم وفي سنده من لا يعرف – تراجم الرجال

- نساء من أهل الدهاء

هند بنت الخس[1]

ومن أهل الدهاء وعجيب القول، هند بن الخس، سُئلت عن أحب الرجال إليها، فانظر قولها:ومن أهل الدَّهاء والنَّكْراءِ ومن أهل اللَّسَن واللَّقَن والجوابِ العجيب والكلام الفصيح والأمثال السائرة والمخارج العجيبة: هندُ بنتُ الخُسّ وهي الزرقاء وجُمعَةُ بنتُ حابسٍ ويقال إن حابساً من إياد وقال عامر بن عبد اللهّ الفزاريّ: جُمعَ بين هند وجُمعة فقيل لجُمعة: أيُّ الرِّجال أحبُّ إليك فقالت: الشَّنِق

(1) البيان والتبيين، الجاحظ.

الكَنَد الظاهر الجَلَد الشديدُ الجذْب بالمَسَدِ وقيل لــهند: أيُّ الرّجـال أحـب إليـك قالت: القريب الأَمَد الواسع البلَد الذي يُوفَد إليه ولا يَفِد وقد سئلت هند عن حَرّ الصيف وبرد الشتاء فقالت: من جعل بُؤساً كأذى وقد ضُرِب بها المثل فمن ذلـك قول ليلى بنتِ النَّضْر الشاعرة: من الطويل وقال ابنُ الأعرابيّ: يقـال: بنـت الخُـسّ وبنت الخُصّ وبنت الخُسْف وهي الزَّرقاء وقال يونس: لا يقـال إلاّ بنـت الأخَـسّ وقال أبو عمرو بن العلاء: داهيتا نساءِ العرب هند الزرقـاءُ وعنـزٌ الزرقـاء وهـي زرقاءُ اليمامة.

ومن فرط ذكائها ومعرفتها باللغة ودقة وصفها، ما قالته حينما أراد أبوها أن يشتري فحلاً لإبله، فاستشار أهل بيته، فكان ما قالته هند في ذلك:[1]

خبر الإبل وفي نوادر ابن الأعرابي:

قال أبو بنت الخُسّ – وأراد أن يشتري فحـلاً لإبلــه – أَشـيروا عـليّ كيـف أشتريه، فقالت هند ابنته: اشتره كما أصفه لك

قال: صفيه

قالت: اشتره ملجم اللَّحْيين أسْجَع الخدين غائر العينين أرْقب أحْـزم أعـلى أكرم إن عصى غشم وإن أطيع تَجَرْثَم.

الأرقب: الغليظ العنق والأحزم: الغليظ موضع الحزام مع شدة.

وفيها: قيل لابنه الخُسّ والخس والخص كل ذلك يقال: ما أحسن شيء؟

(1) البيان والتبيين، الجاحظ.

قالت: غادية في أثر سارِية في نَبخَاء قَاوِية.[1]

نَبْخاء: أرض مرتفعة وقالوا أيضاً: نفخاء أي رابية ليس فيها رمل ولا حجارة والجمع النباخي.

مخض الفلانية وفيها: قالت هند بنت الخس بن جابر بن قريط الإيادية لأبيها:

يا أبت مخضَت الفلانية – لناقة لأبيها – قال: وما علمك قالت: الصَّلا راجّ والطرف راجّ ويمشي وتَفاجّ قال: أمْخضَت يا بنية فاعْقِلي.

راجّ: يرتج ولاَجّ: يَلَجُّ في سرعة الطَّرْف وتَفَاجَّ: تباعد ما بين رجليها.

- ما مائة من المعز[2]

وفيها: قيل لابنة الخُسّ: ما مائة من المَعِز قالت: مُوَيل يشفُّ الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز

قيل: فما مائة من الضأن قالت: قَرْية لا حِمَى بها

قيل: فما مائة من الإبل قالت: بَخٍ جَمالٌ ومال ومُنى الرجال

قيل: فما مائة من الخيل قالت: طَغَى من كانت عنده ولا يوجد

قيل: فما مائة من الحُمر قالت: عازبة الليل وخِزْي المجلس لا لبن فيُحتلب ولا صوف فيجتزّ إن ربطت عِيرها دَلّى وإن أرسلته ولّى.

(1) المزهر في علوم اللغة وآدابها، الجلال السيوطي، دار الكتب العلمية.

(2) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الجلال السيوطي، دار الكتب العلمية .

- إلقاح الإبل

وفي نوادر أبي زيد: قال الخُسّ لابنته: هل يُلقح الجَذَع

قالت: لا ولا يَدَع

قال: فهلْ يُلْقح الثَّنِيّ

قالت: نعم وإلقاحه أَنِيّ أي بطيء

قال: فهل يُلْقح الرَّباع قالت: نعم برحب ذِرَاع.

وانظر قولها في منازل الأحبة، وموقعهم في نفسها،

منازل الأحبّة الخالية تثير الشّوق

روى إبراهيم بن حسن بن يزيد، عن شيخ من ساكني العقيق قال: إنّي لواقفٌ بالعقيق، وقد جاء الحجاج، إذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة، فنظرنا إليها، فأعجبتنا حالها.

فلمّا كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان، عدلت إلينا، ونحن ننظر. فنزلت قصراً من تلك القصور فأقامت فيه ساعةً ثمّ خرجت، فركبت ومضت، وإنّ عينيها لتنقطان دموعاً. فقلت: لأنظر ما صنعت هذه المرأة؟ فدخلت القصر، فإذا كتاب يواجهني في الجّدار، فقرأته فإذا هو[1]:

أليس كفى حزناً لذي الشّوق أن يرى،

منازل من يهوى معطلةً قفرا؟

(1) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية.

بلى، إنّ ذا الشّوق الموكّل بالـهوى،

يزيد اشتياقاً كلّما حاول الصّبرا

وتحته مكتوبٌ: وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز. وكان سفيان بن عاصم زوجها فتوفّي عنها .

- وعودة إلى ليلى الأخيلية في قولها نثراً، لقد أطربنا شعرها قبلاً، وها هي تقول النثر بين يدي الحجاج:[1]

ودخلت ليلى الأخيلية على الحجاج فقالت: أصلح الله الأمير أتيت لإخلاف النجوم، وقلة الغيوم، وكَلَب البرد، وشدة الجهد، قال: فأخبريني عن الأرض، قالت: الأرض مقشعرة، والفجاج مغبرة، والمقتر مقل، وذو العيال مختل، والبائس معتل، والناس مُسْنِتُونَ، رحمَةَ الله يرجون، قال: أي النساء تختارين تنزلين عندها؟ قالت: سَمِّهن لي، قال: عندي هند بنت المهلب، وهند بنت أسماء بن خارجة، فاختارتها فدخلت عليها، فصبت حليها عليها حتى أثقلها، لاختيارها إياها ودخولها عليها دون مَنْ سواها.

وليلى الأخيلية حاضرة الفؤاد لردّ الجواب، حدثت هذه الواقعة أمام الحجاج وعنده بعض جلسائه، فانظر ردّها عليهم ومقارعتهم:[2]

---

(1) مروج الذهب، أبو الحسن المسعودي، دار الكتب العلمية.

(2) مروج الذهب، أبو الحسن المسعودي، دار الكتب العلمية.

حدثني أبي الحسن الموصلي عن سلمه بن أيوب بن مسلمة الهمذاني فقال: كان جدي عند الحجاج فذكر أن امرأة قد دخلت عليه فسلمت فرد عليها، وقال: من أنت؟ قالت: أنا ليلى. قال: صاحبة توبة بن حمير؟ قالت: نعم. قال: فماذا قلت فيه لله أبوك؟ قالت -

قلت[1]:

فإنْ تكنِ القتلى بواءً فإنَّكم

فتىً ما قتلتُم آل عوفِ بن عامرِ

وذكر منها أبياتاً فقال لها أسماء بن خارجة الفزاري: أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه به العرب. قال: فقالت: أيها الرجل: هل رأيت توبة؟ قال: لا. قالت:

أصلح الله الأمير، فوالله لو رأى توبة فود أن كل عاتق في بيته حامل من توبة.

قال: فكأنما فقئ في وجه أسماء حب الرمان. فقال له الحجاج: وما كان لك ولها .

وهذا قول لامرأة أبي الأسود الدؤلي، أمام معاوية بن أبي سفيان، تشكو زوجها في حضوره أمام معاوية:

(1) النجوم الزاهرة فيملوك مصر والقاهرة، ابن تغري السردي

قال أبو محمد القشيري:[1]

كان أبو الأسود الدؤلي من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان وأقربهم مجلساً وكان لا ينطق إلا بعقل ولا يتكلم إلا بعد فهم، فبينا هو ذات يوم جالساً وعنده وجوه قريش وأشراف العرب إذ أقبلت امرأة أبي الأسود الدؤلي، حتى حاذت معاوية وقالت:

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ان الله جعلك خليفة في البلاد ورقيباً على العباد يستسقي بك المطر ويستثبت بك الشجر وتؤلف بك الأهواء ويأمن بك الخائف ويردع بك الجانف فأنت الخليفة المصطفى والإمام المرتضى فاسأل الله لك النعمة في غير تغيير والعافية من غير تعذير، لقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ ضاق علي فيه المنهج وتفاقم عليّ فيه المخرج، لأمرٍ كرهت عاره لما خشيت إظهاره، فلينصفني أمير المؤمنين من الخصم فإني أعوذ بعقوته من العار الوبيل والأمر الجليل الذي يشتد على الحرائر ذوات البعول الأجائر.

فقال لها معاوية: ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ومن فعله المشهر؟

قال فقالت هو أبو الأسود الدؤلي قال فالتفت إليه فقال: يا أبا الأسود ما تقول هذه المرأة؟

---

(1) بلاغات النساء، ابن طيفور

فقال أبو الأسود: هي تقول من الحق بعضاً ولن يستطيع أحد عليها نقضاً، أما ذكرت من طلاقها فهو حق وأنا مخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق، والله يا أمير المؤمنين ما طلقتها عن ريبة ظهرت، ولا لأي هفوة، ولكني كرهت شمائلها فقطعت عني حبائلها فقال معاوية وأي شمائلها يا أبا الأسود كرهت قال يا أمير المؤمنين إنك مهيجها عليّ بجواب عتيد ولسان شديد فقال له معاوية لا بد لك من محاورتها فاردد عليها قولها عند مراجعتها فقال أبو الأسود يا أمير المؤمنين إنها كثيرة الصخب دائمة الذرب مهينة للأهل موذية للبعل مسيئة إلى الجار مظهرة للعار إن رأت خيراً كتمته وإن رأت شراً أذاعته..

الفصل الرابع

أدب المرأة — الحوار

الفصل الرابع
أدب المرأة – الحوار

تقول د. وسمية عبدالمحسن (المحاورة هي مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة)، انظر قول عنترة في حصانه:[1]

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى   ولكان لو علم الكلام مكلمي

وفي القرآن الكريم (والله يسمع تحاوركما).

وفي هذا البحث نعرض إلى نماذج من الحوار الشعري والنثري، تدل على قدرة المرأة واستعدادها للحوار المنطقي، والذي يخرج عن قريحة قادرة، وسليقة سليمة، واستعداد فطري وتلقائية نادرة.

أ - حوار من النثر:

أتت بنت الخس عكاظ، فأتاها رجل يمتحن عقلها، فقال لها: إني أريد أن أسألك وعليك أن تكملي. قالت هات.[2]

قال: كاد................ قالت: كاد المنتعل أن يكون راكباً.

قال: كاد.............. قالت : كاد الفقر أن يكون كفراً.

قال: كاد.............. قالت : كاد العروس أن تكون ملكاً

(1) المرأة المحاورة، د. وسمية عبد المحسن

(2) الفاضل في اللغة والأدب، المبرد

قال: كاد................ قالت: كاد النعامة أن تكون طائراً

قال: كاد................ قالت: كاد السرار أن يكون سحراً.

قالت: أسألك. قال: هاتِ

قالت: عجبتُ......... قال: عجبت للسباخ لا ينبتُ كلؤها ولا يجف ثراها.

قالت: عجبتُ........ قال: عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها.

ومن الحوار أيضاً؛

ب- قال الحجاج لصاحبه يوجهه إلى ليلى الأخيلية:[1]

إذهب إليها فاقطع لسانها، فدعا لها بالحجام يقطع لسانها، فقالت: ويحك، إنما قال لك الأمير اقطع لسانها بالعطاء. فارجع إليه فاسأله. فاستشاط الحجاج غيظاً وهمّ بقطع لسانه، ثم أمر بها فإدخلت عليه، وقالت: أيها الأمير، كاد يقطع مقولي.

- انظر هذا الحوار الذي دار بين أسماء بنت دُريم، وبين وائل بن قاسط، أرجو أن تفكر في أمر ذكائها ومحافظتها على مشاعر بنيها، وحسن تخلصها من المواقف المحرجة.[2]

هي أَسْماءَ بِنْتَ عِمْران بن إلحَافِ ابن قُضَاعَة ـ وقال ابن الكَلْبيّ: هي أَسْماءُ بِنْتُ دُرَيْم بن القَيْن بن أَهْوَدَ بن بَهْراء ـ كانت تنزله، ويقال لها أُمُّ الأَسْبُع لأنّ

(1) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي

(2) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي

وُلْدها أَسَد، وكَلْب، والذِّئْب، والدُّبّ، والفَهْد، والسِّرحَان. وأَقْبَل وائِلُ بن قَاسِط، فلمّا نظر إليها رأى امرأةً ذات جمال، فطَمِعَ بها، فَفَطَنَتْ له، فقالت: لعلك أسررت في نفسك مني شيئا؟ قال: نعم. قالت لئن لم تنته لأستصرخنّ عليك أسبعي. قال: والله ما أرى بالوادي أحداً، فدَعَتْ بَنِيها، فأَتَوْا بالسيوف من كلّ ناحية، قالت: هذا ضيفكم فاذبحوا له. ولم ترَ أن تفضح نفسها عند بنيها، فذبحوا له وأطعموه، فذهب وهو كالمأخوذ عجباً، وسمى ذلك الوادي بوادي السباع. قال: والله ما هذا إلاّ وادي السباع، فسُمِّيَ به.

وادي السباع: اسم موضع بطريق البصرة. قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم:

وادي السباع جمع سبع، بالبصرة معروف، وهو الذي قتل فيه الزبير بن العوام، سمي بذلك لأن أسماء بنت عمران بن الحاف بن قضاعة.

جـ - ومن روائع الحوار الشعري، ما جرى على لسان جارية أمام ضيف، ذمّ صاحبتها. [1]

قالوا إن رجلاً من العرب نزل بامرأة من بني عامر، فأكرمته وأحسنت إليه، فلما همّ بالرحيل أنشد:

لعمرك ما تبلى سرابيل عامرٍ ... من اللؤم ما دامت عليها جلودها

(1) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية

حتى إذا سمعته قالت لجاريتها: قولي له ألم نحسن إليه؟ قال بلى ولكنه شعر جرى على لساني.

فكلمته الجارية حتى إذا أنس إليها، قالت: ممن أنت يا ابن العم؟ قال: من تميم.

قالت:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلّتِ

فقال الرجل: والله ما أنا من تميم.

فقالت الجارية: فممن؟ قال: من بني عجل.

فقالت:

أرى الناس يعطون الكثير وإنما عطاء بني عجل ثلاث وأربعُ

قال: والله ما أنا من بين عجل. قالت: فممن؟

قال: من بني عبس.

قالت:

إذا عبسية ولدت غلاماً فبشرها بلؤم مستفادِ

قال: والله ما أنا من بني عبس. قالت: فممن؟

قال: من بُجيلة.

قالت: سألنا عن بجيلة حين جاءت لتخبر أين قرّ بها القرارُ

فما تدري بجيلة إذ سألنا أقحطان أبوها أم نزار

وتطول هذه الحكاية أيضا.

د- ومن الحوارات الشعرية، ما دار بين رجل وامرأته حينما ولدت له غلاماً أحمر..

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا عثمان بن سعيد بن هارون الأشناندان، قال: أخبرنا التوزي، قال: أخبرني أبو عبيدة، قال: تزوج رجل من بني عامر بن صعصعة امرأة من قومه، وخلفها حاملاً، وخرج في بعض أمره. فولدت ابناً، فلما نظر إلية، وإذا هو أحمر غضب، أزب الحاجبين. فدعاها، وانتضى السيف، وأنشأ يقول:[1]

لا تمشطي رأسي ولا تفْليني

وحاذري ذا الريق في يميني

واقتربي دونكِ أخبريني

ما شأنه أحمرَ كالـهجين

خالفَ ألونَ بنيَّ الجوْنِ

فقالت تجيبه:

إنّ لـه من قِبلي أجدادا

بِيضَ الوجوه كرُماً أنجادا

ما ضرَّهم إن حضروا أمجادا

أو كافحوا يوم الوغى الأندادا

(1) أشعار النساء، أبو عبيد الله المرزباني، عالم الكتب

ألا يكون لونهم سوادا

ذ - ومن حواراتها الشعرية الدالة على وفائها:

خط الرومي عن ابن المزربان، قال: كانت أم عقبة بنت عمرو بن الأبجر اليشكرية عند ابن عمها غسان بن جهضم، فخاف أن تزوج بعده، وأراد أن يعلم ما عندها في ذلك فقال:[1]

أخبريني الذي تريدين بعْدي

والذي تصنعين يا أمَّ عقبه

تحفظيني من بعْد موتي لما قد

كان مني حسْن خُلق وصحبَه

أم تريدين ذا جمالٍ ومُلكٍ

وأنا في النيران في سُحق غربه

فأجابته:

قد سمعت الذي تقول وما قد

خفْتَ منه غسان من أمر عقبه

أنا من أحفظ النساء وأرعاهُ

لما قد أوليت من حسْن صحبه

سوف أبكيك ما حييت بشجوٍ

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الكتب العلمية.

ومراثٍ أقولـها وبندبه

- بكارة الهلالية ومعاوية[1]

ر- بكارة الهلالية صاحبة الحجة القوية والرأي السديد، والكلام الذي يدفع عنه صاحبه غائلة الزمان والحجة التي تدمغ وجوه الأعداء..

وقصتها:

حدثنا إبراهيم بن عبد اللـه بن محمد بن المفضل قال حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعي عن محمد بن إبراهيم عن خالد بن الوليد عمن سمعه من حذافة الجمحي قال دخلت بكارة الـهلالية على معاوية بن أبي سـفيان بعـد أن كـبرت سـنها ودق عظمها ومعها خادمان لـها وهي متكئة

عليهما وبيدها عكاز فسلمت على معاوية بالخلافة فأحسن عليها الـرد وأذن لـها في الجلوس وكان عنده مروان بن الحكم وعمـرو بـن العـاص فابتـدأ مـروان فقال أما تعرف هذه يا أمير المؤمنين قال ومن هي قال هي التي كانـت تعـين علينـا يوم صفين وهي القائلة:

يا زيد دونك فاستثر من دارنا

سيفاً حساماً في التراب دفيناً

قد كان مذخوراً لكل عظيمة

فاليوم أبرزه الزمان مصوناً

(1) بلاغات النساء، ابن طيفور.

فقال عمرو بن العاص وهي القائلة يا أمير المؤمنين:

أترى ابن هند للخلافة مالكاً

هيهات ذاك وما أراد بعيد

منتك نفسك في الخلاء ضلالة

أغراك عمرو للشقاء وسعيد

فارجع بأنكد طائر بنحوسها

لاقت علياً أسعد وسعود

فقال سعيد يا أمير المؤمنين وهي القائلة:

قد كنت آمل أن أموت ولا أرى

فوق المنابر من أمية خاطباً

فالله أخر مدتي فتطاولت

حتى رأيت من الزمان عجائبا

في كل يوم لا يزال خطيبهم

وسط الجموع لآل أحمد عائباً

ثم سكت القوم فقالت بكارة نبحتني كلابك يا أمير المؤمنين واعتورتني فقصر محجني وكثر عجبي وعشى بصري وأنا والله قائلة ما قالوا لا أدفع ذلك بتكذيب فامض لشأنك فلا خير في العيش بعد أمير المؤمنين فقال معاوية أنه لا يضعك شيء فاذكري حاجتك تُقضى فقضى حوائجها وردها إلى بلدها.

- أقدم هنا حكاية فريدة، تدلّ على وفاء المرأة العربية لزوجها ولعشيرتها، ولو اشتدّ بها الفقر وطحنتها الحاجة، فإنها على العهد باقية، ولا ترضى عن بعلها بديلاً، ولو كان خليفة المسلمين.[1]
- قال أعرابي:
- أتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكياً بعمّي، فبعث إليه، فلمّا وقف بين يديه، قال له مروان: يا أيّها الرّجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته؟ قال: أصلح الله الأمير، ليس له عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط. قلت أنا: أصلح الله الأمير، أنا راضٍ بالجّارية، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول؟ فبعث إليها فأتت الجّارية مسرعةً، فلمّا وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان، فصار لي، يا أمير المؤمنين خصماً وانتهرني، وأمر بي إلى السّجن. فبقيت كأني خررت من السّماء في مكانٍ سحيقٍ، ثمّ قال لأبي بعدي: هل لك أن تزوّجها منّي، وأنقدك ألف دينارٍ، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهمٍ تنتفع بها، وأنا أضمن طلاقها؟ قال له أبوها: إن أنت فعلت ذلك زوّجتها منك.
- فلمّا كان من الغد بعث إليّ، فلمّا أدخلت عليه نظر إليّ كالأسد الغضبان، فقال لي: يا أعرابي طلّق سعدى. قلت: لا أفعل. فأمر بضربي ثم ردّني إلى

(1) أخبار النساء، أبو الفرج ابن الجوزي.

السّجن، فلمّا كان في اليوم الثّاني قال: عليّ بالأعرابي. فلمّا وقفت بين يديه، قال: طلّق سعدى. فقلت: لا أفعل.

- فسلّط عليّ يا أمير المؤمنين خدّامه فضربوني ضرباً لا يقدر أحدٌ على وصفه، ثمّ أمر بي إلى السّجن؛ فلمّا كان في اليوم الثّالث قال: عليّ بالإعرابي، فلمّا وقفت بين يديه قال: عليّ بالسّيف والنّطع وأحضر السيّاف، ثمّ قال: يا أعرابي، وجلالة ربّي، وكرامة والدي، لئن لم تطلّق سعدى لأفرّقنّ بين جسدك وموضع لسانك.
- فخشيت على نفسي القتل فطلّقتها طلقةً واحدةً على طلاق السّنّة، ثمّ أمر بي إلى السّجن فحبسني فيه حتّى تمّت عدّتها ثمّ تزوّجها، فبنى بها، ثمّ أطلقني. فأتيتك مستغيثاً قد رجوت عدلك وإنصافك، فارحمني يا أمير المؤمنين. فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدني الأرق، وأذابني القلق، وبقيت في حبّها بلا عقلٍ، ثمّ انتحب حتىّ كادت نفسه تفيض. ثمّ أنشأ يقول:
- في القلب منّي نارٌ
- والنّار فيه الدّمار
- والجّسم منّي سقيمٌ
- فيه الطّبيب يحار
- والعين تهطل دمعاً

- فدمعها مدرار
- حملت منه عظيماً
- فما عليه اصطبار
- فليس ليلي ليلٌ
- ولا نهاري نهار
- فارحم كئيباً حزيناً
- فؤاده مستطار
- اردد عليّ سعادي
- يثيبك الجبّار
- ثمّ خرّ مغشيّاً عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنّه قد صعق به قال: وكان في ذلك الوقت معاوية متكّئاً، فلمّا نظر إليه قد خرّ بين يديه قام ثمّ جلس، وقال: إنّا للـه وإنّا إليه راجعون .
- اعتدى واللـه مروان بن الحكم ضراراً في حدود الدّين، وإحساراً في حرم المسلمين: ثمّ قال:
- واللـه يا أعرابي لقد أتيتني بحديثٍ ما سمعت بمثله. ثمّ قال: يا غلام عليّ بداوةٍ وقرطاسٍ فكتب إلى مروان: أمّا بعد، فإنّه بلغني عنك أنّك اعتديت على رعيّتك في بعض حدود الدّين، وانتهكت حرمةً لرجلٍ من المسلمين. وإنّما ينبغي لمن كان والياً على كورةٍ أو إقليمٍ أن يغضّ بصره

وشهواته، ويزجر نفسه عن لذّاته. وإنّما الوالي كالرّاعي لغنمةٍ، فإذا رفق به بقيت معه، وإذا كان لها ذئباً فمن يحوطها بعده. ثمّ كتب بهذه الأبيات:

- ولّيت، ويحك أمراً لست تحكمه
- فاستغفر اللـه من فعل امرئٍ زاني
- قد كنت عندي ذا عقلٍ وذا أدبٍ
- مع القراطيس تمثالاً وفرقان
- حتّى أتانا الفتى العذريّ منتحباً
- يشكو إلينا ببثٍّ ثمّ أحزان
- أعطي الإلـه يميناً لا أكفّرها
- حقّاً وأبرأ من ديني ودياني
- إن أنت خالفتني فيما كتبت به
- لأجعلنّك لحماً بين عقباني
- طلّق سعاد وعجّلـها مجهّزةً
- مع الكميت، ومع نصر بن ذبيان
- فما سمعت كما بلّغت في بشرٍ
- ولا كفعلك حقّاً فعل إنسان
- فاختر لنفسك إمّا أن تجود بها

- أو أن تلاقي المنايا بين أكفان
- ثمّ ختم الكتاب. وقال: عليّ بنصر بن ذبيان والكميت صاحبيّ البريد. فلمّا وقفا بين يده قال: اخرجا بهذا الكتاب إلى مروان بن الحكم ولا تضعاه إلاّ بيده. قال فخرجا بالكتاب حتّى وردا به عليه، فسلّما ثمّ ناولاه الكتاب. فجعل مروان يقرأه ويردّده، ثمّ قام ودخل على سعدى وهو باكٍ، فلمّا نظرت إليه قالت له: سيّدي ما الذي يبكيك؟ قال كتاب أمير المؤمنين، ورد عليّ في أمرك يأمرني فيه أن أطلّقك وأجهّزك وأبعث بك إليه. وكنت أودّ أن يتركني معك حولين ثمّ يقتلني، فكان ذلك أحبّ إليّ. فطلّقها وجهّزها ثمّ كتب إلى معاوية بهذه الأبيات:
- لا تعجلنّ أمير المؤمنين فقد
- أوفي بنذرك في رفقٍ وإحسان
- وما ركبت حراماً حين أعجبني
- فكيف أدعى باسم الخائن الزاني
- أعذر فإنّك لو أبصرتها لجرت
- منك الأماقي على أمثال إنسان
- فسوف يأتيك شمسٌ لا يعادلها
- عند الخليفة إنسٌ لا ولا جان
- لولا الخليفة ما طلّقتها أبداً

- حتّى أضمّنّ في لحدٍ وأكفان
- على سعادٍ سلامٌ من فتىً قلقٍ
- حتّى خلّفته بأوصابٍ وأحزان
- ثمّ دفعه إليهما، ودفع الجّارية على الصّفة التي حدّث لـه. فلـمّا وردا على معاوية فكّ كتابه وقرأ أبياته ثمّ قال: واللـه لقد أحسن في هذه الأبيـات، ولقد أساء إلى نفسه. ثمّ أمر بالجّارية فأدخلت إليه، فإذا بجاريـةٍ رعبوبـةٍ لا تبقي لناظرها عقلاً من حسنها وكمالـها. فعجب معاوية مـن حسنها ثمّ تحوّل إلى جلسائه وقال: واللـه إنّ هذه الجّاريـة لكاملـة الخلـق فلـئن كملت لـها النّعمـة مـع حسن الـصّفة، لقـد كملـت النّعمـة لمالكهـا. فاستنطقها، فإذا هي أفصح نساء العرب. ثمّ قال: عليّ بالأعرابي

فلمّا وقف بين يديه، قال لـه معاوية: هل لك عنها من سلوٍ، وأعوّضك عنها ثلاث جوارٍ أبكارٍ مع كلّ جاريةٍ منهنٍ ألف درهمٍ، على كـلّ واحـدةٍ مـنهنّ عـشر خلعٍ من الخزّ والدّيباج والحرير والكتّان، وأجري عليك وعليهنّ مـا يجـري عـلى المسلمين، وأجعل لك ولـهنّ حظاً من الصّلات والنّفقات؟ فلما أتمّ معاوية كلامه غشي على الأعرابيّ وشهق شهقةً ظنّ معاوية أنّه قد مات منها. فلّما أفـاق قـال لــه معاوية: ما بالك يا أعرابي؟ قال: شرّ بالٍ، وأسوأ حـالٍ، أعـوذ بعـد لـك يـا أمـير المؤمنين من جور مروان. ثمّ أنشأ يقول:

لا تجعلني هداك اللـه من ملكٍ

كالمستجير من الرّمضاء بالنّار

أردد سعاد على حرّان مكتئبٍ

يمسي ويصبح في همٍّ وتذكار

قد شفّته قلقٌ ما مثلـه قلقٌ

وأسعر القلب منه أيّ إسعار

واللـه واللـه لا أنسى محبّتها

حتّى أغيّب في قبري وأحجاري

كيف السّلوّ وقد هام الفؤاد بها

فإن فعلت فإني غير كفّار

فأجمل بفضلك وافعل فعل ذي كرمٍ

لا فعل غيرك، فعل اللؤم والعار

ثمّ قال: واللـه يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كلّ ما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى. ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول:

أبى القلب إلاّ حبّ ليل وبغّضت

إليّ نساءٌ ما لـهن ذنوب

وما هي إلاّ أن أراها فجاءةً

فأبهت حتّى لا أكاد أجيب

فلمّا فرغ من شعره، قال لـه معاوية: يا أعرابي؟ قال: نعم يـا أمـير المـؤمنين. قال: إنك مقرٌّ عندنا أنّك قد طلّقتها، وقد بانت منك ومن مروان، ولكـن نخيّرهـا بيننا. قال: ذاك إليك، يا أمير المؤمنين. فتحوّل معاويـة نحوهـا ثـمّ قـال لـهـا: يـا سعدى أيّنا أحبّ إليك: أمير المؤمنين في عزّه وشرفه وقصوره، أو مروان في غـصبه واعتدائه، أو هذا الأعرابي في جوعه وأطماره؟ فأشـارت الجّاريـة نحـو ابـن عمّهـا الأعرابي، ثمّ أنشأت تقول:

هذا وإن كان في جوعٍ وأطمار

أعزّ عندي من أهلي ومن جاري

وصاحب التّاج أو مروان عاملـه

وكلّ ذي درهمٍ منهم ودينار

ثمّ قالت: لست، واللـه، يا أمـير المـؤمنين لحـدثان الزمـان بخاذلتـه، ولقـد كانت لي معه صحبة جميلة، وأنا أحقّ من صبر معه عـلى الـسّرّاء والـضّرّاء، وعـلى الشّدّة والرّخاء، وعلى العافية والـبلاء، وعـلى القـسم الـذي كتـب اللــه لي معـه. فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلــها وكمالــها ومروءتهـا وأمـر لـــها بعشرة آلاف درهمٍ وألحقها في صدقات بيت المسلمين.

س - وهذا حوار بين عبدالله بن أبي رواحه وزوجته في حق جارية كان قد كلف بها، فاشتكته إلى الرسول الكريم، فضحك عليه السلام حتى بانت نواجذه.

ننظر إلى هذه المحاورة اللطيفة:[1]

ويحكى أن عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه كان عنده جارية جميلة. وكان يحبها محبة شديدة. ولم يتمكن منها خوفاً من زوجته. فمضت يوماً زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين، فقالت: أفعلتها؟ قال: لم أكن فاعلها. قالت: فاقرأ!

فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ثم قال:

علمت بأن وعد الله حق

وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف

وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة كرام

ملائكة الإله مسومينا

قالت: صدقت وكذبت عيناي. قال: فذهبت وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها ويقول كيف قلت. انتهى

(1) أعلام النساء، جنة الولدان في الحسان من الغلمان

ش – رأي عبدالملك في الجواري:[1]

رأي عبد الملك في الجّواري–

قال عبد الملك بن مروان: من أراد أن يتّخذ جاريةً للمتعة، فليتّخذها بربريّـةً ومن أراد للولد فليتّخذها فارسيّةً؛ ومن أرادها للخدمة فليتّخذها روميّةً.

ص – رأي الحكماء في النساء:[2]

قال بعض الحكماء: لم تنه قط امرأةٌ عن شيءٍ إلاّ فعلته. للغنوي:

إنّ النّساء متى ينهين عن خلقٍ

فإنّه واقعٌ لابدّ مفعول

ولغيره[3]:

لا تأمن الأنثى حبتك بودها

إنّ النساء ودادهنّ مقسّم

اليوم عندك دلّها وحديثها

وغداً لغيرك كفّها والمعصم

(1) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي

(2) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي

(3) أخبار النساء، أبو الفرج ابن الجوزي

الفصل الخامس
أدب المرأة العربية
شعرها ونثرها وحوارها

الفصل الخامس
أدب المرأة العربية
شعرها ونثرها وحوارها

أ . فصاحتها وسماحة منطقها:

إذا عُدت سمات الحسن، وصفات الجمال، فحسن المنطق أروعها وأبدعها وأملكها للأنفس، وآخذها بالقلوب، لأن معالم الجمال الحسي تستمد روعتها من البدن وحده، وأما جمال الكلام فوسط عدلٌ بين الروح والبدن.

وإذا عرفت المرأة في مختلف أطوارها بالإكثار من فضول القول، والإرسال من حواشيه، لتبلغ من نفوس جلسائها مبلغها، فإن المرأة العربية قد بلغت ذلك وتجاوزته بما ملك أسلوبها من دقة وبراعة، وسماحة رأي وحسن بيان.

لقد كانت المرأة العربية وما تكاد تُسامى في ارتياد شعاب القول، وعجم أعواده، وكشف فنونه وشؤونه، ودرك مواطن القوة والضعف فيه، فاغتمرت حومة البيان قائلة ناقدة، فإن قالت، فقول القائل الحكيم، وإن نقدت فنقد الناقد العليم. ولشدّ ما أخذت على فحول الرجال مواطن الزلل فيما ابتدعوه وتأنقوا فيه. ولها من دقة النقد ولطف المأخذ ونفاذ الإدراك وحسن البديهة ما جعل لها في شتات مواقفها، الرأي القاطع والكلمة الفاصلة.

وستعلم من هذين الشاهدين بُعد شأوها من دقة النقد ونفاذ البديهة، وفي تاريخها ما لا يناله العدّ من أمثالها:

أما الأول، فما حدثوا أن امرأ القيس وعلقمة الفحل تنازعا الشعر، فقال علقمة لصاحبه: قد حكمت بيني وبينك امرأتك – أم جندب – قال: قد رضيت. فقالت لهما: قولا شعراً على رويّ واحد وقافية واحدة، تصفان فيه الخيل.

فقال امرؤ القيس:[1]

خليليّ مرا بي على أم جندب لنقضيَ حاجات الفؤاد المعذب

وعارضها علقمة بمثلها فقال:

ذهبتِ من الهجران في كل ولم يك حقاً كل هذا التجنب

وقال امرؤ القيس:

فللسوط ألهوبٌ وللساق دَرّةٌ وللزجر منه دفعُ أخرجَ مُهذِبِ

وقال علقمة:

فأدركهنّ ثانياً من عنانه بمرٍ كمرّ الرائح

فحكمت لعلقمة لأنه لم يجهد فرسه ولم يضربه، فلم يكن من امرئ القيس من ردّ إلا أن طلقها، فخلفته على صاحبه.

أما الثاني، فحديث الخنساء عن عمرو بن الشريد.[2]

---

(1) الأغاني للأصفهاني ، دار الكتب العلمية

(2) المثل السائر، ابن الأثير

ذلك أن النابغة الذبياني كان حكماً يحتكم إليه الشعراء في سوق عكاظ، فكان فيمن تقدم بين يديه، الخنساء وحسان بن ثابت. فلما أنشدته الخنساء قصيدتها التي تقول فيها:

وإن صخراً لمولانا وسيدنا ... وإن صخراً إذا نشتو لنحارُ

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علمٌ في رأسه نارُ

قال لها النابغة: لولا أن أبا بصير (الأعشى) أنشدني، لقلت إنك أشعر أهل الأرض. فهاج ذلك جمرة الغضب في صدر حسان، وقال للنابغة: أنا أشعر منك ومنها ومن أبيك! قال النابغة، بماذا؟ فقال حسان: بقولي:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في ... وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دما

ويقولون إن النابغة قال للخنساء: خاطبيه يا خُناس.

فقالت له:

أضعفت افتخارك وأنزرته في ثمانية مواضع.

قال: وكيف؟

قالت: قلتَ، الجفنات، والجفنات ما دون العشر. ولو قلتَ البيض، لكان أكثر اتساعاً.

وقلت، يلمعن، واللمع شيءٌ يأتي بعد شيء، ولو قلتَ، يشرقن، لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان. وقلت، بالضحى، ولو قلتَ بالدجى، لكان أكثر

طرّاقاً، وقلت، أسيافنا، والأسياف ما دون العشرة، ولو قلتَ سيوفنا، كـان أكثـر. وقلتَ، يقطرن، ولو قلتَ، يسلنَ، لكان أكثر. وقلـتَ، مـن نجـدة، والنجـدات أكثر من نجدة، وقلتَ، دماً، والدماء أكثر من الدم.

فلم يحر حسان جواباً، وانصرف عند ذلك مستحيياً.

لذلك كله، نهجت المرأة العربيـة كـل منـاهج القـول، واستنّـت في جميـع ضروبه، فأسهبت، حتى استرقت الأسماع، وملكت أزمة القلوب، وأوجزت حتى كشفت عن الحكمة وفصل الخطاب.

ولقد وَصَفَ النبيَّ ﷺ، رجـالٌ، هم أمس الناس به، وأطولهم لزاما له، فلـم يَبلغ واحدٌ منهم في وصفه ما بلغته أعرابية ألمّ بها عليه السـلام، وهـو في طريقـه إلى المدينة، وهي أم معبد. وقد ورد وصفها له ﷺ، في فصل سابق.

أما في شعرها في هذا المجال، فانظر قول امرأة من بني شيبان [1]

وقـالوا شـاعراً مـنكم قتلنـا ... كذاك الـرمحُ يكلَـفُ بالكريـم

بعـين أُبـاغ، قاسـمنا المنايـا ... فكـان قـسيمها خـير القـسـيم

وكان الشاعر أبو نواس، قد أجهد نفسه في استعمال – عين أباغ – في شعره، فلم يستطع، فجاءت لينة طائعة لامرأة مجهولة من بني شيبان.

---

(1) تاج العروس، الزبيدي، دار إحياء التراث العربي

ذلك شأن المرأة العربية في القول شعراً ونثراً وحواراً، وشأن غلبتها على الرجل كغلبة عاطفتها على عاطفته، وأي الرجال يملك أن ينوح على زوجه بمثل ما ناحت به جليلة بنت مرة، على زوجها كليب؟ أوليس ذلك لأن الرجل لا يملك قلباً كقلبها؟ ولا يشعر بالنار تضطرم بين جوانحه كما تضطرم بين جوانحها؟.

ب – ومضات من قصار القول والمثل السائر

- قالت سلمى بنت جعفر يوم القادسية، وقد لطمها سعد بن أبي وقاص:
- أغيرةً وجبناً.[1]

وحكايتها كما وردت في، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير المحدث.

" المُثَنَّى بنُ حَارِثة بن سَلَمَة بن ضَمْضَم بن سعد بنُ مرَّة بن ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل الربعي الشيباني.

وفد على النبي سنة تسع، مع وفد قومه. وسيره أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه في صدر خلافته إلى العراق قبل مَسِير خالد بن الوليد. وهو الذي أَطْمَع أبا بكر والمسلمين في الفُرْس، وهَوَّن أمر الفرس عندهم. وكان شهماً شجاعاً ميمون النَّقيبة حسن الرأي، أبلى في قتال الفرس بلاءً لم يبلغه أحد. ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة، سيَّر أبا عُبيد بن مسعود الثقفي والد المختار في جيش إلى المثنى،

(1) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية

فاستقبله المثنى واجتمعوا، ولقوا الفرس بقس الناطف، واقتتلوا فاستشهد أبو عبيد، وجرح المثنى فمات من جراحته قبل القادسية.

وهو الذي تزوّج سعدُ بن أبي وقاص امرأته سَلْمى بنت جعفر. وهي التي قالت لسعد بالقادسية حين رأت من المسلمين جَولةً فقالت: وَامُثَنَّياه، ولا مُثَنّى للمسلمين اليوم فلطمها سعد، فقالت: أغَيْرَةً وجُبْناً؟ فذهبت مثلاً."

- بيتي يبخل لا أنا. [1]

قالته امرأة سئلت شيئاً تعذر وجوده عندها، فقيل لها: بخلت فقالت: بيتي يبخل لا أنا.

- ومن جميل قولها (ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل)[2]

وحكاية ذلك ما ورد في معجم الأمثال لأبي الفضل الميداني:

قال المفضل: أولُ من قال ذلك عَثْمَة بنت مَطْرودٍ البُجَيْلِيَّة، وكانت ذاتَ عقلٍ ورأى مستمع في قومها، وكانت لها أخت يقال لها خود، وكانت ذات جَمَال ومِيسَم وعَقْل، وأن سبعة إخوة غلمة من بطن الأزْد خطَبوا خودا إلى أبيها، فأتوه وعليهم الحُلَل اليمانية، وتحتهم النَّجَائِبُ الفُرَّهُ، فقالوا: نحن بنو مالك بن غُفَيْلة ذي النحيين فقال لهم: انزلوا على الماء، فنزلوا ليلَتَهم ثم أصبحوا غادِينَ في الحُلَل والهَيْأة ومعهم رَبِيبة لهم يقال لها الشعثاء كاهنة، فمروا بوَصِيدها يتعرَّضُون لها

(1) الأمثال، أبو عبيد الله بن سلام

(2) معجم الأمثال والحكم، أبو الفضل الميداني

وكلهم وَسِيم جميل، وخرج أبوها فجلسوا إليه فرحَّب بهم، فقالوا: بلغنا أن لك بنتا ونحن كما ترى شَبَاب، وكلنا يَمْنَع الجانب، وبمنح الراغب، فقال أبوها: كلكم خِيار فأقيموا نَرَى رأينا، ثم دخل على ابنته فقال: ما ترين فقد أتاك هؤلاء القوم فقالت أَنْكِحْني على قَدْري، ولا تُشْطِط في مَهْري، فإن تُخْطِئني أحلامهم، لا تخطئني أجسامهم، لعي أصيب ولدا، وأكثر عَدَدا، فخرج أبوها فقال: أخبروني عن أفضلكم، قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة: اسمع أخبرك عنهم، هم إخوة، وكلهم أسْوَة، أما الكبير فمالك، جريء فاتك، يتعب السَّنَابك، ويستصغر [ص 138] المَهَالك، وأما الذي يليه فالغَمْر، بحر غَمْر، يقصر دونه الفَخْر، نَهْد صَقْر، وأما الذي يليه فعَلْقَمَة، صليب المَعْجَمَة، مَنِيع المشتمة، قليل الجمجمة، وأما الذي يليه فعاصم، سَيدٌ ناعم، جَلْد صارم، أبيٌّ حازم، جيشُه غانم، وجاره سالم، وأما الذي يليه فثَوَاب، سريع الجَوَاب، عَتيد الصَّوَاب، كريم النصَاب، كلَيْث الغاب، وأما الذي يليه فَمُدْرِك، بَذُول لما يَملك، عَزُوب عما يترك، يُفْنِي ويُهْلِك، وأما الذي يليه فجَنْدَل، لِقِرْنه مُجَدّل، مقل لما يَحْمِل، يُعْطي ويَبْذُل، وعن عدوه لا يَنْكُل.

فشاورت أختها فهيم، فقالت أختها عَثْمَةُ: ترى الفِتيان كالنخل وما يدريك ما الدَّخْل، اسمعي مني كلمة، إن شرّ الغريبة يُعْلَن، وخيرها يُدْفَن، انكِحِي في قومك ولا تغررك الأجسام، فلم تقبل منها، وبعثت إلى أبيها أنكِحْنِي مدركا، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورُعَاتها، وحَمَلَها مدرك، فلم تَلْبث عنده إلا قليلا حتى صَبَّحهم فوارسُ من بني مالك بن كنانة، فاقتتلوا ساعة ثم إن زوجها

وإخوته وبني عامر انكَشَفُوا فَسَبَوْهَا فيمن سَبَوْا، فبينا هي تسير بكَتٌ، فقالوا: ما يبكيك أعلى فراق زوجك قالت: قَبَّحه الله! قالوا: لقد كان جميلا، قالت: قبح الله جمالا لا نَفْع معه، إنما أبكي على عصياني أختي وقولها "ترى الفيان كالنخل وما يدريك ما الدخل" وأخبرتهم كيف خطبوها، فقال لها رجل منهم يكنى أبا نُوَاس شاب أسود أَفْوَهُ مضطرب الخلق: أَتَرْضَيْنَ بي على أن أمنعك من ذئاب العرب، فقالت لأصحابه: أكذلك هو قالوا: نعم إنه مع ما تَرَيْنَ ليَمْنَعُ الحَلِيلة، وتَتَّقِيه القبيلة، قالت: هذا أجمل جمال، وأكمل كمال، قد رضيت به، فزوجوها منه.

- ومما قالته الكنانية (لا تأمني الأحمق وفي يده سكين) (1)

وقد ورد هذا المثل في معجم الأمثال والحكم، لأبي الفضل الميداني:

قال المفضل: كان من حديث بَيْهس أنه كان رجُلاً من بني فَزَارة بن ذُبْيَان بن بَغيض، وكان سابعَ إخْوَةٍ. فأغار عليهم ناسٌ من أَشْجَع بينهم وبينهم حرب وهو في إبلهم، فَقتَلوا منهم ستة وبقي بَيْهَسٌ وكان يُحَمَّقُ، وكان أَصْغرَهم، فأرادوا قتله، ثم قالوا: وما تريدون من قتل هذا يُحْسَبُ عليكم برجل ولا خير فيه، فتركوه، فقال: دعوني أتوصَّلُ معكم إلى الحي، فإنكم إن تركتموني وَحْدِي أكلتني السباع وقَتَلَنِي العطش، ففعلوا، فأقبل معهم فلما كان من الغدِ نزلوا فَنَحَروا جَزُوراً في يوم شديدِ الحر، فقالوا: ظللُوا لحمكم لا يفسد. فقال بيهس: لكنَّ بالأَثَلاَث لحماً لا يُظَلَّل، فذهبت مثلا، فلما قال ذلك قالوا: إنه لَمُنْكَر وَهَمُّوا أن

(1) معجم الأمثال، أبو الفضل الميداني

يَقْتلوه، ثم تركوه وظلُّوا يَشْوُون من لحم الجزور ويأكلون، فقال أحدهم: ما أَطْيَبَ يومَنَا وأَخْصَبَه، فقال بيهس: لكنْ على بَلْدَح قومٌ عَجْفَى، فأرسلها مثلا، ثم انْشَعَبَ طريقُهم فأتى أُمَّه فأخبرها الخبر. قالت: فما جاءَني بك من بين إخوتك فقال بيهس: لو خُيِّرْتِ لاخْتَرْتِ فذهبت مثلا، ثم إن أمه عَطَفت عليه ورقَّتْ له فقال الناس: لقد أحبَّتْ أم بيهس بيهساً. فقال بيهس: ثكلٌ أَرْأَمَهَا ولدا، أي عَطَفَها على ولد، فأرسلها مثلا، ثم إن أمه جَعَلت تُعطيه بعد ذلك ثيابَ إخوته فَيَلْبَسُها ويقول: يا حَبَّذَا التراثُ لولا الذلَّة فأرسلها مثلاً، ثم إنه أتى على ذلك ما شاء الله فمر بنسوة من قومه يُصْلِحْنَ امرأةً منهن يُرِدْنَ أن يُهْدِينَهَا لبعض القوم الذين قَتَلُوا إخوته، فكشَف ثوبه عن اسْتِهِ وغطى به رأسه فقلن له: ويحك! ما تصنع يا بيهس فقال:

أَلْبَسْ لكل حَالَةٍ لَبُوسَها

إِمَّا نعيمَهَا وإما بُوسَهَا

فأرسلها مثلا، ثم أمر النساء من كنانة وغيرها فصنَعْنَ له طعاماً، فجعل يأكل ويقول: حَبَّذَا كثرةُ الأيْدِي في غير طعام [ص 153] فأرسلها مثلاً، فقالت أمه: لا يطلبُ هذا بثأرٍ أبداً، فقالت الكنانية: لا تأْمَنِي الأحْمَقَ وفي يَدِه سكين، فأرسلتها مثلا.

ومن أقوالهنّ أيضاً —

رمتني بدائها وانسلّت.[1]

زعموا أن سعد بن زيد مناة بن تميم، كان تزوج رهم بنت الخزرج بن تيم الله بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، وكانت من أجمل الناس، فولدت له مالك ابن سعد وعوفاً، وكان ضرائرها إذا سابينها يقلن: يا عفلاء فقالت لها أمها: سابينك فابدئيهن بعفال فسابتها بعد ذلك امرأة من ضرائرها، فقالت: يا عفلاء، فقالت ضرتها رمتني بدائها وانسلت فأرسلتها مثلاً. وبنو مالك بن سعد رهط العجاج، وكانوا يقال لهم بنو العفيل، فقال اللعين المنقري وهو يعرض بهم:

ما في الدوائر من رجلي من عقل

عند الرهان وما أكوى من العفل

- وما أجمل حكاية هذا المثل: (صارت الفتيان حمماً)

صارت الفتيان حمما[2]

هذا من قول الحمراء بنت ضمرة بن جابر، وذلك أن بني تميم قتلوا سعد ابن هند، أخا عمرو بن هند الملك، فنذر عمرو ليقتلن بأخيه مائة من بني تميم، فجمع أهل مملكته، فسار إليهم فبلغهم الخبر، فتفرقوا في نواحي بلادهم، فأتى

(1) الأمثال، المفضل الضبي

(2) مجمع الأمثال، عبد الغني الميداني

دارهم فلم يجد إلا عجوزاً كبيرة وهي الحمراء بنت ضمرة، فلما نظر إليها وإلى حمرتها قال لها: إني لأحسبك أعجمية. فقالت:

لا، والذي أسأله أن يخفض جناحك، ويهد عمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك، ما أنا بأعجمية. قال: فمن أنت؟ قالت أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد معداً كابراً عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة. قال: فمن زوجك؟ قالت: هوذة بن جرول. قال: وأين هو الآن أما تعرفين مكانه؟ قالت: هذه كلمة أحمق، لو كنت أعلم مكانه حال بينك وبيني. قال:

وأي رجل هو؟ قالت: هذه أحمق من الأولى، أعن هوذة يسأل؟. هو والله طيب العرق، سمين العرق، لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يضاف، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد.

فقال عمرو: أما والله لولا أني أخاف أن تلدي مثل أبيك وأخيك وزجك لاستبقيتك.

فقالت: وأنت والله لا تقتل إلا نساء أعاليها ثدي وأسفلها دمي، ووالله ما أدركت ثأراً ولا محوت عاراً وما من فعلت هذه به بغافل عنك ومع اليوم غد. فأمر بإحراقها فما نظرت إلى النار قالت: هيهات صارت الفتيان حمما. فذهبت مثلاً. ثم ألقيت في النار ولبث عمرو عامة يومه لا يقدر على أحد حتى إذا كان في آخر النهار أقبل راكب يسمى عماراً توضع به راحلته حتى أناخ إليه فقال له

عمرو: من أنت؟ قال: أنا رجل من البراجم. قال فما جاء بك إلينا؟ قال: سطع الدخان وكنت قد طويت منذ أيام فظننته طعاماً. فقال عمرو:

إن الشقي وافد البراجم. فذهبت مثلاً. وأمر به فألقي في النار فقال بعضهم: ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غيره وإنما أحرق النساء والصبيان. وفي ذلك يقول جرير:

وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم

وأدرك عماراً شقي البراجم

ولذلك عيرت بنو تميم بنقب الطعام لما لقي هذا الرجل. قال الشاعر:

إذا ما مات ميت من تميم

فسرك أن يعيش فجئ بزاد

بخبز أو بلحم أو بتمر

أو الشيء الملفف في البجاد

تراه ينقب الآفاق حولاً

ليأكل رأس لقمان بن عاد

ومن جميل الأقوال ما نورده أدناه، من قول عصام، [1]

في (بيان حقّ الزوج ووصايا الوالدين)

---

(1) عيون الأخبار — ابن قتيبة الدينوري

وينبغي لأبوي المرأة خصوصاً الأم أن تعرِّفها حق الزوج، وتبالغ في وصيتها، عن عمرو بن سعيد قال: كان في عليّ شدّة على فاطمة - سلام الله عليها - فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فانطلق عليّ، فقام حيث يسمع كلامها، فشكت غلظ عليّ عليها، وشدته، فقال: يا بنيّة استمعي واسمعي واعقلي، فإنه لا امرأة لا تأتي هوى زوجها، وهو ساكت، قال عليّ: فرجعت، فقال: (والله لا آتي شيئاً تكرهينه أبداً، فقالت: والله لا آتي شيئاً تكرهه أبداً).

قال القرشي: وحدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا عبد الله بن بكر السهمي قال: حدثني بشر أبو نصر أن أسماء بن خارجة زوّج ابنته، فلما أراد أن يهديها إلى زوجها، أتاها فقال: يا بنية، إنّ النساء أحق بأدبك مني، ولا بد لي من تأديبك، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، ولا تدني منه فيملّك، ولا تباعدي منه فتثقلي عليه، ويثقل عليك، وكوني كما قلت لأمك:

خُذي العفوَ منّي تَسْتديمي مودَّتي[1]

ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ

فإنّي رأيتُ الحبَّ في القلبِ والأذى

إذا اجتمعا، لم يلبث الحبّ يذهبُ

مرضت فلم تحفل علي جنوب

(1) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني

وأدنفت والممشى إلي قريب

فلا يبعد اللـه الشباب وقولنا

إذا ما صبونا صبوة سنتوب

فلقد سمعت شيئاً ظننت أن الجبال التي حـولي تنطـق معـه: شـجا صـوت، وحسن غناء.

وقال لي: أتحب أن يزيدك؟ فقلت: إي واللـه. فقال: هذا ضـيفك وضـيفنا، وقد رغب إليك وإلينا، فأسعفه بما يريد. فاندفع يغني بشعر مجنون بني عامر:

عفا اللـه ليلى الغداة فإنها

إذا وليت حكما علي تجور

أأترك ليلى ليس بيني وبينها

سوى ليلة؟ إني إذاً لصبور!

فما عقلت لما غنى من حسنه إلا بقول صاحبي: نجـور عليـك يـا أبـا يزيـد. فقلت:

وما معناك في ذلك؟ فقال: إن أبا يزيد عـرض بـأني لمـا وليـت الحكـم عليـه جرت في سؤالي إياه أكثر من صوت واحد. فقلت لـه -بعد ساعة- سراً: جعلـت فداءك، إني أريد المضي وأصحابي يريدون الرحلة، وقد أبطأت عليهم، فـإن رأيـت أن تسألـه - حاطه اللـه من السوء والمكروه- أن يزودني لحناً واحـداً. فقـال لي: يـا أبا يزيد، أتعلم ما أنهى إلينا ضيفنا؟ قال:

نعم، أرادك أن تكلمني في أن أغنيه قلت: هو والله ذلك، فاندفع يغني:

خذي العفو مني تستديمي مودتي

ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى

إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فقال: قد أخذنا العفو منك، واستدمنا مودتك، ثم أقبل علينا فقال: ألا أحدثكم بحديث حسن؟ فقلنا: بلى. قال: قال شيخ العلم وفقيه الناس وصاحب علي -صلوات الله عليه- وخليفة عبد الله بن العباس على البصرة أبو الأسود الدؤلي لابنته ليلة البناء: أي بنية، النساء كن بوصيتك وتأديبك أحق مني، ولكن لا بد مما لا بد منه. يا بنية، إن أطيب الطيب الماء، وأحسن الحسن الدهن، وأحلى الحلاوة الكحل. يا بنية، لا تكثري مباشرة زوجك فيملك، ولا تباعدي عنه فيجفوك ويعتل عليك، وكوني كما قلت لأمك:

خذي العفو مني تستديمي مودتي....

قال القرشي:[1]

وحدثني إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: ثنا غسان قال: ثنا سعيد بن يزيد، أن أبا الأسود الدؤلي زوّج ابنه له، فأتته الجارية فقالت: يا

(1) أحكام النساء، أبو الفرج ابن الجوزي

أبت إني لم أن أحب أن أفارقك، فأما إذ زوجتني فأوصني. قال: إنك لـن تنـالي مـا عنده إلا باللطف، واعلمي أنَّ أَطْيب الطيب الماء.

وعن أبي عبيدة قال: زوَّج رجل من العرب أربع بنـات لــه، فـزار أولاهـن فقال:

كيف ترين بعلك يا بنيّة؟ فقالت: السهل بأرض محـل، إن سـألت أعطـى، وإن سكت ابتدأ من غير مَنّ ولا أذى. فقال: أي بنية، رزقته بجدّك لا بكدّك.

ثم زار الثانية، فقال:

أي بعل بعلك؟ فقالت: جبار عنيد، من الخيرات بعيد، لا توقد لـه نار، ولا يؤمن لـه جار. فقال: أي بنيّة، صبَّتْ عليك بليَّة، فليكن الصبر منك سـجيّة حتـى تأتيك المنيّة.

ثم زار الثالثة فقال: كيف زوجك؟ فقالت: ذو خلق نزق، وشر غلق، يجـود لي في الغنى، ويحرمني إذا افتقر. فقـال: أي بنيـة، تـذمّين وتحمـدين، وكـذا الـدهر يكون حين وحين، ويحمل الغث والثمين.

ثم زار الرابعة فقال: أي بعل بعلك؟ فقالت: ذو خلق جميل، ورأي أصـيل، مقبل على أهلـه، متكرم في رحلـه. فقال: أي بنية، رزقتيـه ماجـداً، فامنحيـه ودّك، وألطفيه جهدك.

وعن عبد الملك بن عُمَيْر قال: لما زوّج عوف بن محلِّم الشيباني ابنته أم إياس بن الحارث بن عمرو الكندي، فجهزت، وحضرت لتحمل إليه، دخلت عليها أمها أمامة لتوصيها فقالت:

يا بنية، إنَّ الوصية لو تركت لفضل في الأدب أو مكرمة في الحسب لتركت ذلك منك، ولزويتها عنك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، أي بنيّة، لو استغنت المرأة عن زوجها بغنى أبيها، وشدّة حاجتها إليه، لكنت أغنى الناس عنه، إلا أنهنّ خُلقن للرجال، كما لهن خُلق الرجال.

أي بنيّة، إنك قد فارقت الجوّ الذي منه خرجت، والعش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، أصبح بملكه عليك مليكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً.

احفظي له خصالاً عشراً، تكن لك دركاً وذكراً.

أما الأولى، والثانية: فالصحبة له بالقناعة، والمعاشرة له بحسن السمع والطاعة، فإنّ في القناعة راحة القلب، وفي حسن السمع والطاعة رضى الرب.

وأمّا الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع أنفه، والتعاهد لموضع عينه، فلا تقع عينه منك على شيء قبيح، ولا يشمّ أنفه منك إلا أطيب ريح، وإن الكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب المفقود.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعاهد لموضع طعامه، والتفقّد له حين منامه، فإنَّ حرارة الجوع ملهبة، وإنّ تنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالإرعاء على حشمه وعيالـه، والاحتفاظ بمالـه، فـإنَّ أصل الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على الحشم والعيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفـشي لـــه سراً، ولا تعـصي لـــه في حـال أمـراً، فإنك إنْ أفشيت سره، لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، ثـم اتقـي يا بنيّة الفرح لديه، إذا كان ترحاً، والاكتئاب إذا كان فرحاً، فإنَّ الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشدّ ما يكون لك إكراماً، أشد مـن تكـونين لـه إعظاماً، وأشدّ ما تكونين لـه موافقة، وأطول ما تكونين لـه مرافقة، واعلمي يا بنية، أنك لن تصلي إلى ما تحبين منه حتى تؤثري رضـاه عـلى رضـاك، وهـواه عـلى هواك، فيما أحببت وكرهت، والله يخـيِّر لـك ويحفظـك. فحملـت إليـه، فعظـم موقفها منه، فولدت لـه الملوك الذي ملكوا بعده.

قال المصنّف رحمه الله:[1]

وقد رويت لنا هذه الحكاية مبسوطة، فقد روى أبو روق الـهمداني، عن أبي حاتم السجستاني قال: قالوا: كان ملك من ملوك الـيمن يقـال لـــه: الحـارث بـن عمرو الكندي بلغه أنَّ ابنة لعوف الكندي أنها ذات جمال وكمال، فبعـث إلى امـرأة من قومها يقال لـها: عصام.

(1) أحكام النساء، أبو الفرج ابن الجوزي

فقال: إنه بلغني عن بنت عوف جمال وكمال، فاذهبي واعلمي لي عليها.
فانطلقت حتى دخلت على أمها، وهي أمامة بنت الحارث، فأخبرتها، ما جاءت له، وإذا أمها كأنها خاذل من الظباء، وحولها بنات لها، كأنهن شوادن الغزلان.

فأرسلت إلى ابنتها فقالت: يا بنية، إنَّ هذه خالتك أتتك لتنظر إلى بعض شأنك، فاخرجي إليها، ولا تستتري عنها بشيء، وناطقيها فيما استنطقتك فيه.
فدخلت عليها، ثم خرجت من عندها، وهي تقول: تَرِكَ الخداعَ مَنْ كشفَ القناعَ، فأرسلتها مثلاً.

فلما جاءت إلى الحارث قال: ما وراءك يا عصام؟ قالت: أيها الملك، صرح المخضي عن الزبد - فأرسلتها مثلاً، ثم قالت: أقول حقاً، وأخبرك صدقاً، لقد رأيت وجهاً كالمرآة المضيئة يزينه شعر حالك، كأذناب الخيل المضفورة إنْ أرسلته خلته سلاسل، وإن مشطته خلته عناقيد كرم جلاها وابل.

لها حاجبان، كأنما خطا بقلم، أو سُوِّدا بحمم، قد تقوسا على مثل عيني الظبية العَبْهرة، التي لم تر قانصاً، ولم يذعرها قسورة ببهتان المتوسم، بينهما أنف كحد السيف المصقول، لم يخنس به قصر، ولم يمعن به طول، حفَّت به وجنتان كالأرجوان في بياض محض كالجمان، شق فيه فم لذيذ الملثم، فيه ثنايا غر، وأسنان كالدر، ذات أشر، ينطق فيه لسان ذو فصاحة وبيان، يحركه عقل وافر، وجواب حاضر، تلتقي دونه شفتان حمروان، كأنهما في لين الزبد يحملان ريقاً كالشهد، نصب ذلك على عنق أبيض، كأنه إبريق فضة.

لــها صــدر كــصدر التمثــال، مــدت فيــه عــضدان مــدمجتان مليتــان لحــماً، مكسوتان شحماً، متصلة بهما ذراعان ما فيهما عظم يمس، ولا عرق يجس عصبتهما، يعقد إن شئت منهما الأنامل، وتركب الفصوص في حفر المفاصل.

نتأ في ذلك الصدر ثديان يخرقان عليهـا ثيابهـا، ويمنعانهـا أن تقلـد سـخاباً، أسفل من ذلك بطن، طوي كطي القباطي المدمجة كسي عكناً كالقراطيس المدرجة، كمدهن العاج.

لـها ظهر فيه كالجدول، ينتهي إلى خصر لولا رحمة ربك لانبـتر لـــها كفـل، يكاد يقعدها إذا نهضت، وينهضها إذا قعدت، كأنه حقف من الرمل، لبده سـقوط الطل، أسفل من ذلك فخذان لفاوان، كأنهما نـصبا عـلى نـضد جمـان، متـصلة بهـما ساقان بيضاوان خدلجتان حمل ذلك كلـه قدمان كحذو اللسان، تبارك اللـــه، مـع لطافتهما كيف يطيقان حمل ما فوقهما.

وأما ما سوى ذلك، فإني تركت نعته ووصفه لوقته، إلا أنه أكمـل وأحـسن مما وصف في شعر أو قول.

قال: فبعث إلى أبيها، فخطبها إليه، فزوّجها إياه، فبعث إليهـا مـن الـصداق بمثل مهور نساء الملوك مائة ألف درهم، وألف من الإبل، فلما حان أن تحمل إليـه، دخلت إليها أمها لتوصيها، فقالت: أي بنية، إنَّ الوصية لو تركـت لعقـل أو أدب أو مكرمة في حسب، لتركت ذلك منك، ولزويته عنك.

ولكن الوصيّة تذكرة للعاقل، ومنبهة للغافل. أي بنيّة، إنه لو استغنت المرأة عن زوجها بغنى أبيها، وشدّة حاجتها إليه، لكنت أغنى الناس عن الزوج، ولكن للرجال خُلِق النساء، كما لهن خُلِق الرجال.

أي بنيّة: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، والوكر الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك ملكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً.

واحفظي عني خصالاً عشراً تكن لك دركاً وذخراً:

- فأما الأولى والثانية: فالمعاشرة له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، فإن في القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب.
- وأما الثالثة والرابعة: فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح، واعلمي أي بنية، أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود.
- وأما الخامسة والسادسة: فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغص النوم مغضبة.
- وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ بماله والرعاية على حشمه وعياله، فإنّ الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير.

- وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي لـه سراً، ولا تعصي لـه أمـراً، فإنـك إن أفشيت سره، لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صـدره، واتقـي الفرح لديه إن كان ترحـاً، والاكتئـاب إذا كـان فرحـاً، فـإن الأولى مـن التقصير، والثانية من التكدير، واعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه حتـى تؤثري هواه على هواك، ورضـاه عـلى رضـاك، فـيما أحببـت وكرهـت، واللــه يخير لك بخيرته، ويصنع لك برحمته.

فلما حملت إليه غلبت على أمره، وولدت لـه سبعة أولاد ملكوا بعده.

ومن الأمثال التي ما زالت تتردد على ألسنتنا حتى اليوم، قول العجفاء بنـت علقمة السعدي

(كل فتاة بأبيها معجبة)،

كما وردت في مجمع الأمثال للميداني[1]:

كل فتاة بأبيها معجبة

يضرب في عجب الرجل برهطه وعشيرته. وأول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السعدي وذلك أنهـا وثـلاث نـسوة مـن قومهـا خـرجن فاتعـدن بروضـة يتحدثن فيها فوافين بها ليلاً في قمر زاهر وليلة طلقة ساكنة وروضة معشبة خصبة فلما جلسن قلن ما رأينا الليلة ليلة ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحاً ولا أنضر، ثم أفضن في الحديث فقلن أي النـساء أفـضل؟ قالـت إحـداهن: الخـرود الـودود

(1) مجمع الأمثال للميداني

الولود، قالت الأخرى: خيرهن ذات الغناء وطيب الثناء وشدة الحياء، قالت الثالثة: خيرهن السموع الجموع النفوع غير المنوع، قالت الرابعة:

خيرهن الجامعة لأهلها الوادعة الرافعة لا الواضعة. قلن فأي الرجال أفضل؟ قالت إحداهن: خيرهم الحظي الرضي غير الحظال ولا التبال. قالت الثانية: خيرهم السيد الكريم ذو الحسب العميم والمجد القديم. قالت الثالثة: خيرهم السخي الوفي الرضي الذي لا يغير الحرة ولا يتخذ الضرة. قالت الرابعة: وأبيكن إن في أبي لنعتكن كرم الأخلاق والصدق عند التلاق والفلج عند السباق ويحمده أهل الرفاق، قالت العجفاء عند ذلك: كل فتاة بأبيها معجبة. وفي بعض الروايات أن إحداهن قالت: إن أبي يكرم الجار ويعظم النار وينحر العشار بعد الحوار ويحل الأمور الكبار. فقالت الثانية: إن أبي عظيم الخطر منيع الوزر عظيم النفر يحمد منه الورد الصدر. فقالت الثالثة: إن أبي صدوق اللسان كثير الأعوان يروي السنان عند الطعان. قالت الرابعة: إن أبي كريم النزال منيف المقال كثير النوال قليل السؤال كريم الفعال. ثم تنافرن إلى كاهنة معهن في الحي، فقلن لها: اسمعي ما قلنا واحكمي بيننا واعدلي، ثم أعدن عليها قولهن، فقالت لهن: كل واحدة منكن ماردة على الإحسان جاهدة لصاحباتها حاسدة، ولكن اسمعن قولي: خير النساء المبقية على بعلها الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع إلى أهلها مطلقة فهي تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها فتلك الكريمة الكاملة، وخير

الرجال الجواد البطل القليل الفشل إذا سأله الرجل ألفاه قليل العلل كثير النقل.
ثم قالت: كل واحدة منكن بأبيها معجبة.

- ويضرب هذا المثل لمن يُحمل على مكروه على غير إرادته، يقول المثل:
(لو تُـرك القطا ليلاً لنام)،[1]

وحكاية ذلك كما ورد في مجمع الأمثال:

نزل عمرو بن مامة على قوم من مراد فطرقوه ليلاً، فأثاروا القطا من أماكنها، فرأتها امرأته طائرة، فنبهت المرأة زوجها فقال: إنما هي القطا؛ فقالت: لو ترك القطا ليلاً لنام. يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته. وقال المفضل: أول من قال: لو ترك القطا ليلاً لنام، حذام بنت الريان، وذلك أن عاطس بن خلاج سار إلى أبيها في حمير وخثعم وجعفى وهمدان، ولقيهم الريان في أربعة عشر حياً من أحياء اليمن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم تحاجزوا؛ وإن الريان خرج تحت ليلته وأصحابه هراباً، فساروا يومهم وليلتهم ثم عسكروا، فأصبح عاطس فغدا لقتالهم، فإذا الأرض منهم بلاقع؛ فجرد خيله وحث في الطلب فانتهوا إلى عسكر الريان ليلاً؛ فلما كانوا قريباً منه أثاروا القطا فمرت بأصحاب الريان فخرجت جذام بنت الريان إلى قومها فقالت:

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا

فلو ترك القطا ليلاً لناما

---

(1) مجمع الأمثال، عبد الغني الميداني

أي أن القطا لو ترك ما طار هذه الساعة؛ وقد أتاكم القوم. فلم يلتفتوا إلى قولها وأخلدوا إلى المضاجع لما نالهم من التعب؛ فقام ديسم ابن طارق وقال بصوت عال:

إذا قالت حذام فصدقوها[1]

فإن القول ما قالت حذام

وثار القوم فلجؤوا إلى واد كان قريباً منهم. فانحازوا به حتى أصبحوا وامتنعوا منهم.

- ومن أمثالهنّ الدالّة على الذكاء وحسن التصرف مع الرجل، وهو لابنة هانئ بن قبيصة يقول

- (ماءٌ ولا كصداء)[2]

- ومثل آخر في نفس المعنى لامرأة من طيء،

يقول المثل (مرعى ولا كالسعدان)[3]، وهنا روايتها كما وردت في التذكرة الحمدونية:

ومن أمثال لاعرب: (ماءٌ ولا كصداء)، وصداء بئر؛ وأصل هذا المثل أن ابنة هانئ بن قبيصة لما قتل عنها زوجها لقيط بن زرارة تزوجها رجل من أهلها،

(1) مجمع الأمثال للميداني.

(2) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، دار صادر.

(3) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، دار صادر.

فكان لا يزال يراها تذكر لقيطاً، فقال لـها ذات يـوم: مـا استحـسنت مـن لقـيط؟ فقالت: كل أموره كانت حسنة، ولكني أحدثك أنـه خـرج مـرة إلى الـصيد وقـد انتشى، فركـب ورجع بقميصه نضحٌ مـن صـيده، والمـسك يـضوع مـن أعطافـه، ورائحة الشراب من فيه، فضمني ضمةً وشمني شمة فيـا ليتنـي مـت ثمـة، قـال: ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها إليه وقال: أين أنا مـن لقـيط؟ فقالـت: مـاء ولا كصداء.

ومثلـه: رجل ولا كمالك، يعنون مالك بن نويرة.

و(مرعى ولا كالسعدان)، قالته امرأة من طيء لامرئ القيس، وكان مفركاً، فقال لـها: أين أنا من زوجك الأول؟ فقالت: مرعى ولا كالسعدان.

وأختتم هذه الأقوال التي صدرت عن المرأة العربية العادية، بقول صدر عن ملكة عربية، هي ملكة تـدمـر الـزباء أو زينـب، التـي هاجمهـا أعـداؤها ودخلـوا مدينتها وأصبحوا على وشك أن

يقبضوا عليها حيـةً، ولكنها المرأة العربية الأبية، أبت ذلك وقتلـت نفـسها ولا أن تقع ذليلة بيد أعدائها،

وقالت (بيدي لا بيـد عمرو)[1]

- عزان

مدينة كانت على الفرات للزباء بنت مليح بن البراء.

(1) آثار البلاد وأخبار العباد، الخطيب محمد القزويني.

قتله جذيمة الأبرش صاحب الحيرة فلحقت الزباء بالروم وجمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ملك أبيها وأزالت جذيمة عنها وبنت على طرف الفرات مدينتين متقابلتين من شرقي الفرات وغربيه وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات فكانت إذا رهقها الأعداء أوت إليه وجرت بينها وبين جذيمة مهادنة.

قال ابن الكلبي: لم يكن في نساء عصرها أجمل منها وكان اسمها فارغة وكانت تسحب شعرها وراءها إذا مشت وإذا نشرته جللها فسميت الزباء.

فأراد جذيمة أن يتزوجها ويضم ملكها إلى ملكه فخطبها فأجابته على شرط أن يصير إليها.

وكان لجذيمة وزير اسمه قصير.

قال لجذيمة: لا تمش إلى هذه المرأة فإني لست آمنها عليك! فقال: لا يطاع لقصير أمر! فأرسلها مثلاً.

فلما دخل عليها أمرت جواريها فأخذن يده.

قالت له: أي قتلة تريد أن أقتلك فقال: إن كان لا بد فاقتليني قتلة كريمة!

فأطعمته حتى شبع وسقته حتى ثمل وفصدت شريانه حتى نزف دمه ومات.

فبلغ قصيراً خبره فجدع أنف نفسه وأظهر أنه جدعه عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة لأنه أشار إليه بتزويج الزباء.

فراسل قصير الزباء وأطمعها في ملك جذيمة فركبت إليه وصار قصير إليها بأمان وأخبرها بسعة التجارات فدفعت إليه مالاً فأتاها بربح كثير ثم زادته في المال فأتاها بربح عظيم فأنست به وجعلته من بطانتها.

وأخبرته: اني حفرت من قصري على الفرات هذا إلى القصر الآخر على الجانب الآخر من الفرات سرباً تحت الماء وجعلت باب السرب تحت سريري هذا ومخرجه تحت سريري الآخر فإن راعني أمر خرجت إلى الجانب الآخر.

فحفظه قصير ومضى بالمال وحصل ألفي رجل في ألفي صندوق على ألف جمل وعلى الرجال الدروع ومعهم السيوف وأقبل بهم إلى الزباء.

فلما قرب من مدينتها صعدت الزباء سور مدينتها تنظر إلى العير مثقلة فقالت: ما للجمال مشيها وئيدا؟ أجندلاً يحملن أم حديدا؟ أم صرفاناً بارداً شديدا؟ أم الرّجال جثّماً قعودا؟

فجاء قصير بالعير ودخل المدينة فأناخ الجمال وثار الرجال من الصناديق بالسيوف وضربوا من أدركوه. فلما علمت الزباء قصدت السرب لتدخل فيه فبادرها عمرو بن عدي وكان من رجال الصناديق وقف على باب السرب بالسيف فعلمت انه قاتلها، فمصت سماً تحت خاتمها وقالت: بيدي لا بيد عمرو! فأرسلته مثلاً.

ومن الأمثال المتعلقة بالحادثة السابقة:

لأمر ما جدع قصير أنفه![1]

عقرقوف قرية قديمة من قرى بغداد قالوا: بناها عقرقوف بن طهمورث وإلى جانب هذه القرية تل عظيم من تراب يرى من خمسة فراسخ كأنه قلعة عظيمة.

((ثأر عدي لخاله:))

ونجا قصير، فأورد الخبر على عمرو بن عبد الجن التنوخي بالحيرة، فأشفق لذلك، فقال له قصير: اطلب بثأر ابن عمك، وإلا سبَّتْكَ العرب، فلم يحفل بذلك، فخرج قصير إلى عمرو بن عدي، فقال له: هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب ثأر خالك؟ فضمن له ذلك، فصرف وجوه الجنود إليه، ومناهم بالمال والحال، فانصرف إليه منهم بشر كثير، فالتقى هو والتنوخي، فلما خافوا الفناء تابعهُ التنوخي، وتم الأمر لعمرو بن عدي، فقال له قصير: انظر ما وعدتني به في الزباء، فقال عمرو: وكيف لنا بها وهي أمنع من عُقاب الجو؟ فقال: أما إذا أبيت فإني جادع أنفي وأذني ومحتال لقتلها جهْدي، فأعنّي وخلاك ذم، فقال له عمرو: أنت أبصر، وعليَّ معُونتك، فجدع أنفه، فقيل: لأمرٍ ما جدع قصير أنفه، ثم انطلق حتى دخل على الزباء، فقالت: من أنت؟ فقال: أنا قصير، لا ورب المشارق ما كان على وجه الأرض بشر كان أنصح لجذيمة ولا أغش لك مني، حتى جدع عمرو بن عدي أنفي وأذني، فعرفتُ أني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه

(1) آثار البلاد وأخبار العباد، الخطيب محمد القزويني.

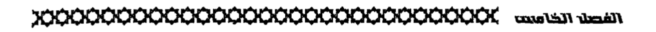
مني معك، فقالت: أي قصير، نقبل منزلتك ونصرفك في بضائعنا، فأعطته مالاً للتجارة، فأتى بيت مال الحيرة، فاستخفَّ ما فيه بأمر عمرو بن عدي، وانصرف به إليها، فلما رأت ما جاءها به فرحت بذلك، وزادته مالاً إلى ما جاء به، وقال: إنه ليس من ملك إلا وهم يتخذون في مدائنهم أنقاباً تكون لهم عُدَداً، فقالت له:

أما إني قد فعلت ذلك، قد نقبت سَرَباً وبنيته من تحت سريري هذا حتى أخرج من تحت الفرات إلى سرير أختي رحيلة ففرح بذلك قصير، ثم ظعن حتى أتى عمراً، فركب عمرو في ألفي رجل على ألف بعير في الصناديق، حتى صار إليها، فتقدم قصير وسبق الأبعِرة، فقال لها: اصعدي حائط مدينتك، وانظري إلى مالك، وتقدمي إلى بوابك فلا يتعرض لشيء من أموالنا، فإني قد جئت بمال صامت وكانت قد أمنته، فلم تكن تخافه، وصعدت وفعلت ما أمرها، فلما نظرت إلى ثقل مشي الجمال قالت:

* ما للجمال مشيُها وئيدا * أجنْدَلاً يحملن أم حديدا؟ * أم صرَفاناً بارداً شديدا * أم الرجالَ جُثَّماً قعودا؟ *

ودخلت الإبل المدينة، حتّى إذا بقي آخرها جملاً عيل صبر البواب، فطعن بمنخسة كانت في يده خاصرة رجل فضرط، فقال البواب: بشتا بشتا، وهي بالنبطية، أي: في الجوالق شر، وثار الرجال من الجوالق ضرباً بأسيافهم، فخرجت الزباء هاربة إلى سربها، فأبصرت قصيراً عند نفقها مُصْلتاً سيفه، فانصرفت

راجعة، وتَلَقَّاها عمرو بن عدي فضربها. وقال بعضهم: مَصَّت خاتمها، وكان فيه سم ساعة، وقالت: بيدي لا بيد عمرو، وخربت المدينة، وسبيت الذراري.



الخاتمـــــة

الخاتمـــة

أدب المرأة العربية (شعرها ونثرها وحوارها)

يتكون هذا الكتاب من خمسة فصول هي:

الفصل الأول: وكان وصفاً لمجال المشكلة وأهميتها.

الفصل الثاني: وكان يمثل نماذج من أدب المرأة في الشعر.

الفصل الثالث: وكان يمثل نماذج من أدب المرأة في النثر.

الفصل الرابع: وكان يمثل نماذج من أدب المرأة في الحوار.

الفصل الخامس: وكان يمثل أقوالهنّ من جوامع الكلم والأمثال.

تبين لنا من خلال الكتاب في مواد الفصول المذكورة أعلاه، أن هناك مشكلة قائمة، ألا وهي قلة معرفتنا بأدب المرأة العربية (شعراً ونثراً وحواراً) وأن هذه المواد الكثيرة موزعة في بطون الكتب القديمة، وأنها كنز مفقود لا بدّ من البحث عنه، واستخراجه ونشره، حتى تأخذ تلك المرأة العربية حقها من الوجود، ومكانتها من الأدب، ويأخذ الأدب حقه في الظهور كبقية الآداب العربية والعالمية في العصور المختلفة.

هذا الأدب الراقي، يظهر لنا تميز المرأة العربية، ورقتها وقت الرقة، وقوتها وقت الشدة، ودورها في تربية أطفالها، وتأثيرها على أهلها وقت النوائب برأيها

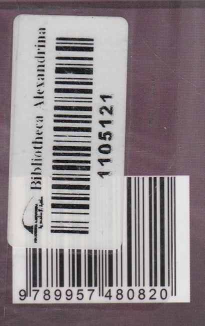
الصائب وإدارتها الحكيمة. فأصبح حرياً بنا أن ننقب عن هذه الكنوز الذهبيـة وإن طال الزمن.

إننا ونحن نفعل ذلك، إنما ننهض بالأدب العربي عامة، ونفتح نوافذ كانـت مغلقة على الكثيرين،كما أننا نتيح مجالات كثيرة للباحثين في هذا المجال من الأدب، وربطه بما لدينا من الأدب النسائي في العصر الحاضر، تفحيصا وتمحيصا ومقارنة. آخذين في الاعتبار الفضاء الزماني والفضاء المكـاني لـصنع مقارنـة حقيقيـة، تـبرز أدب كل عصر.

المراجع

- المرأة العربية – عبد الله عفيفي - دار مصر للطباعة.
- الحماسة البصرية – صدر الدين البصري - مكتبة الخانجي - القاهرة.
- الطبقات الكبرى لابن سعد - دار الكتب العلمية.
- الكامل في اللغة - المبرّد - دار إحياء التراث العربي.
- الأغاني - أبو فرج الأصفهاني - دار الكتب العلمية.
- تاج العروس - الزبيدي - دار إحياء التراث العربي.
- البيان والتبيين - الجاحظ.
- كنز العمال - التقي الهندي، المجلد 16.
- تاريخ دمشق - ابن عساكر - دار الكتب العلمية.
- نهاية الأرب في فنون الأدب - أحمد النويري شهاب الدين.
- مأزق المرأة الشاعرة - د. نجمة عبدالله ادريس.
- الرسائل - الجاحظ.
- زهرة الآداب وثمر الألباب - الحصري.
- بلاغات النساء - ابن طيفور.
- المرأة العربية - عبدالله عفيفي - القاهرة.
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري.

- نور القبس - أبو عبيد الله المرزباني.
- بلاغات النساء - ابن طيفور.
- معجم الأمثال والحكم - أبو الفضل الميداني.
- المستدرك على الصحيحين - الحاكم النيسابوري - دار الكتب العلمية.
- المرأة المحاورة - د. وسمية عبدالمحسن.
- رسائل الجاحظ.
- العقد الفريد - ابن عبد ربه الأندلسي - دار إحياء التراث العربي.
- الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية.





دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس : 5353402 6 962+
خلوي : 95667143 7 962+

ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com